

موسوعة الأئمة الدينية:

الخطابة

وأشهر خطب الرسول ﷺ والصحابة

متولى الجرجاوى

أصول الدين - جامعة الأزهر

الناشر

دار الملتقى للنشر والتوزيع



دار الملتقى

للنشر والتوزيع

٤٨ ش الشيخ ريحان - عابدين

ت: ٢٧٩٤٨٧٢٦

٠١٢/٣٣٢٥٤٧٣

٠١١/١٢٩٣١٩٦

٠١٨/٩١٠٤٤٦٣

اسم الكتاب

الخطابة

وأشهر خطب الرسول ﷺ والصحابة

اسم المؤلف

متولى الجرجاوى

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢٦٦٤

الترقيم الدولى: 977-6175-11-2

الطبعة الأولى

٢٠٠٨

تحذير هام

يحذر نقل أو اقتباس أي جزء من هذا
الكتاب إلا بعد الرجوع إلى الدار
والحصول على ترخيص خاص.

حقوق الطبع محفوظة

للمؤلف والنشر

••••

من على رضى الله عنه قال:

خطب رسول الله ﷺ فقال :

" لا خير في العيش إلا لمستمع واع أو عالم ناطق ... "

-أخرجه العسكري-

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا للحق وإلى الطريق المستقيم، وأوعز لنا بالقيام بهذا العمل - موسوعة الأشهر الدينية- الذى نأمل أن يستفيد منه ولو قلة قليلة من أبناء أمتنا الإسلامية..

وسنتناول فى هذا الجزء من موسوعتنا موضوعاً مهماً وهو "الخطابة" وخاصة الإسلامية منها، وأيضاً "أشهر خطب الرسول ﷺ" والصحابة - رضوان الله عليهم- وبعض النماذج من خطب التابعين" وذلك لأهمية موضوع "الخطابة" حيث إنها تلعب دوراً كبيراً فى إلهاب مشاعر الجماهير إذا كانت حماسية، أو تنقيف وإشاعة الوعى الدينى وإيقاظ الضمير إذا كانت دينية، كما أنها ممكن أن تكون خطباً أدبية أو اجتماعية أو ... أو...

وبصفة عامة الخطابة فن من فنون الكلام، يهدف لإلقاء الكلام على جمهور الناس لاستمالتهم وإقناعهم، وقد اعتبرها الفلاسفة علماً له أصول وقوانين.. وهذا العلم لا بد أن يعنى بدراسة طرق التأثير ووسائل الإقناع.. ولا بد لمن يجيد هذا العلم - أى الخطيب- أن تتوافر فيه عدة أمور: منها الذكاء الفطرى وسرعة البديهة والثقافة والصوت المؤثر والهيئة واختيار الخطب المناسبة والتحضير لها جيداً، ومراعاة سن وظروف وثقافة المستمعين حتى يستطيع استمالتهم له، ويروى ظمأهم ويمتدح روحهم، ويسمو بعقولهم، ويزكى جوارحهم.

وسنسهب بعض الشيء فى تناول هذا الموضوع، حيث إننا سنتناول الخطابة من ناحية كيفية إعداد الخطبة والمصادر اللازمة لذلك، وما يجب أن يكون عليه الخطيب وتطور الخطابة... وما إلى ذلك.

وسنختتم هذا الجزء من موسوعتنا بنماذج لخطب الهادى الأمين - عليه صلوات الله وسلامه- وصحابته - رضوان الله عليهم - كما سبق وقلنا- ونتمنى أن نوفق، وعلى الله قصد السبيل .

المؤلف

متولى الجرجاوى



الباب الأول

الخطابة



الباب الأول

التعريف بالخطابة

الخطابة وسيلة مهمة للوصول إلى كثير من الأمور التي يحتاج إليها البشر في حياتهم. ومن أهمها وأعظمها "الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى".

لذا اهتم الباحثون، والمفكرون، والدعاة إلى الله عز وجل ببيان تعريفها، وأصولها، ومقوماتها، وتطورها، والنماذج الصالحة من الخطباء الذين تركوا أثرا طيبا في مجتمعاتهم وكانوا قدوة لغيرهم.

وقد عرف الحكماء الخطابة بأنها: مجموعة قوانين يقندر بها على الإقناع الممكن في أي موضوع يراد.

والإقناع عبارة عن: حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك^(١).

وعرفها ابن رشد بأنها: "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء"^(٢).

كما عرفها بعض المحدثين بأنها: "فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالة"^(٣).

وعرفها كذلك غير هؤلاء بأنها: "فن من فنون الكلام يقصد به التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر معاً"^(٤)..

إلى آخر هذه التعريفات المتعددة - قديما وحديثا - للخطابة، والتي تهدف كلها إلى معرفة فن إلقاء الكلام على جمهور من الناس سواء أكان ارتجالا أو تحضيريا.. وهذا بالطبع لن يكون إلا بالابتكار المبنى على التفكير السليم، والتنسيق المبنى على الترتيب المنطقي الذي لا يصطدم مع العقل، والتعبير المبنى على توضيح الأفكار.

(١) مذكرة "الخطابة" للشيخ علي محفوظ ص ١٠ - الطبعة الثالثة.

(٢) تلخيص الخطابة لابن رشد - تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ص ١٥.

(٣) فن الخطابة للدكتور أحمد الحوفي ص ٧ - طبعة نهضة مصر بالقاهرة.

(٤) الخطابة في الإسلام.. للدكتور جمعة الخولي، والدكتور مصلح بيومي.

وصفوة القول- كما قال الشيخ على محفوظ- إن الفلاسفة اعتبروا الخطابة علما له أصول وقوانين تمكن الدارس لها من التأثير بالكلام، وتعرفه وسائل الإقناع بالخطاب في أى غرض من الأغراض الكلامية، وأنه يعنى بدراسة طرق التأثير، ووسائل الإقناع، وما يلزم أن يكون عليه الخطيب من صفات وآداب، وما ينبغى أن تكون عليه أساليب الخطبة، وترتيب أجزائها، وهو بهذا نبراس يهتدى، ومصباح ينير السبيل أمام من عنده استعداد للخطابة ليربى ملكته، وينمى استعداده..^(١)

مما سبق يتبين لنا ماهية الخطابة، فمن هو الخطيب إذا ؟

والجواب: هو هذا الإنسان الذى يجمع إلى ذكائه الفطرى، واستعداده الذاتى ثروة هائلة من الثقافات المتعددة التى يستطيع بها خوض أى معركة من المعارك الكلامية المختلفة. لأنه بهذا لديه القدرة أن يجعل لكل مقام مقالا.

وعلى هذا فللخطابة -خاصة الدينية- أثرها الكبير، وخطرها العظيم فى المجتمع، من أجل هذا جعلها البارى تبارك وتعالى شعيرة من شعائر الإسلام:

١- فى كل يوم جمعة من كل أسبوع يحتشد المسلمون فى بيت من بيوت الله تعالى ليستمعوا إلى الخطيب وهو يلقي الخطبة عن موضوع من الموضوعات المهمة التى تشغل بال المسلمين، فيستمعون إليه بإنصات فى سكونة وخشوع.

ولاعجب فى ذلك فقد قال تعالى لجماهير المسلمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعْتُمْ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر"^(٣)..

(٢) سورة الجمعة الآية ٩.

(١) الخطابة للشيخ على محفوظ ص ١١-١٢.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٦٦ طبعة عيسى البابى الحلبي.

من أجل ذلك نجد أن إمام المسجد الذى يحترم جمهوره يقوم بنصيب كبير فى تنقيف الأمة، والأخذ بيدها إلى ما فيه رقيها وسعادتها فى الدارين.

٢- وفى موسم الحج يلتقى عدد ضخم من المسلمين من شتى بقاع الأرض على جبل عرفات بأمر من الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١) فيستمعون إلى الخطيب وهو يلقي خطبته المهمة على منبر مسجد نمرة. يذكرهم فيها بماضيهم وما يجب أن يكونوا عليه فى حاضرهم ومستقبلهم كما فعل النبي ﷺ فى خطبة الوداع.

٣- وفى الأعياد الإسلامية يهرع المسلمون مبكرين إلى الصحراء أو فى أى مكان متسع لأداء صلاة العيد (عيد الفطر أو عيد الأضحى)، وبعد الصلاة يستمعون إلى الخطيب وهو يذكر بأحكام العيد وما يجب عليهم نحوه ليعيشوا آمنين مطمئنين مسرورين بنعم الله عليهم.

٤- وفى كل مناسبة طيبة كليلة القدر المباركة وليلة الإسراء والمعراج، وحادث الهجرة النبوية، ومولد الرسول ﷺ يجتمع المسلمون فى بيت من بيوت الله فيستمعون إلى من يذكرهم بهذه الذكريات العظيمة التى تكون سببا فى تمسكهم بدينهم والنهوض بأمتهم فى هذه الحياة.. والمثل الأعلى - دائما - للخطابة الدينية هو النبي ﷺ الذى كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول: صباحكم ومساكم.. إلى آخر ما ورد عن النبي ﷺ وما سنبينه بعد ذلك إن شاء الله بشيء من التفصيل.

أصول الخطابة ومقوماتها

عرفنا من التعريفات الماضية عن الخطابة بأنها: فن من فنون الكلام يقصد به التأثير فى الجمهور عن طريق السمع والبصر معا..

(١) فمما يدخل أثره عن طريق السمع :

(أ) الأسلوب (ب) الإلقاء (ج) الصوت

(٢) ومما يدخل أثره عن طريق البصر :

(أ) الوقفة والهيئة (ب) الحركة والملاح.

وتلك هي مقومات هذا الفن.. ولنتكلم عن كل واحد من هذه المقومات:
أولاً: الأسلوب:

يقولون إن من البيان لسحرا. والخطيب الحصيف يمكنه أن يسحر الأفتدة بقوة فكرته وحسن إلقائه وعذوبة كلامه وسهولة عرضه ووضوح فكرته.

والخطيب لا يصل إلى الأذهان إلا عن طريق الأذان. وللأذان ذوق في الجمال لا يد من مراعاته ومرضاته. أي أن الخطابة فن الاتصال بالقلوب عن طريق الأذان. فالخطيب الحاذق هو الذي يصوغ خطبته في أسلوب تتخير له الألفاظ المتسقة والجمل المتراسة والفقرات المترابطة والأساليب السهلة. والافتتان في تنويع الأسلوب والقصد فيه. ولذلك يحسن أن يكون الخطيب ملما بثروة كبيرة من آداب اللغة ومروياتها وأساليبها وألفاظها. وعلى الخطيب أن يتجنب التكرار إذ هو عيب مخل في الخطبة. والكلام لا يقاس بطوله. بل بمقدار فائدته، ولقد كان ﷺ أقل الناس كلاما وكانت خطبته مختصرة موجزة. والمروى من خطبه صلوات الله وسلامه عليه قليل ومختصر ولكن فائدته عظيمة.

قال النووي: "يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة مبينة من غير تمطيط ولا تقصير، ولا تكون ألفاظا ملفقة فإنها لاتقع في النفوس موقعا كاملا. ولا تكون وحشية نافرة فإنها لا تحصل المقصود منها بل يختار ألفاظا سهلة جزلة مفهومة".

وقال ابن القيم: "وكذلك كانت خطبة الرسول ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته. وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملاً القلوب من خطبته إيماناً وتوحيدا ومعرفة بالله وآلائه لا كخطب غيره التي تتناول أموراً مشتركة بين الخلائق، أي ضعيفة الصلة بالدين فاقدة لتوجيهاته الواجبة. كما سنعرف مزيدا من التفصيل في هذا الموضوع عند الكلام على هدى الرسول ﷺ في خطبه.

وعلى الخطيب أن يكون ملماً بأداب اللغة وطرائف المرويات، ذواقة للشعر والنثر حتى يمكنه ذلك من التعبير عما في ضميره ونقل ما في نفسه إلى نفوس الآخرين بعبارة رفيقة وأداء مستحب.

ونضع أمام الخطيب هذه الأمور لكي يراعيها في تخير الأسلوب:

- توخي الأساليب السهلة.
- تنوع الأسلوب.
- تخير الألفاظ .
- الاعتماد على العاطفة والشعور. بمعنى أن يكون الخطيب يقظ القلب جيشا المشاعر صادق اللهجة.

وكلما كان الخطيب مخلصا في قوله معتقدا صدق كلامه، كلما اتخذ سبيله إلى القلوب. فإن الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الأذان.

ثانيا: الإلقاء:

لحسن الإلقاء أثر عظيم في نجاح الخطبة، ولذلك فهو من أجل ما ينبغي اهتمام الخطيب به. فقد تسمع خطبتين ذات موضوع واحد إلا أنه يجذب أحدهما انتباهك ويثير إعجابك بحسن إلقائه وجمال عرضه. وقد يكون أسلوب الخطبة نازلا عن مقام البلاغة فيرفعه الخطيب القادر بفصاحة منطقته وعضوبة إلقائه، فيثير السامع ويلهبه بجمال إلقائه، عن ضعف إنشائه.

والإلقاء الحسن يتمثل في الوضوح والطلاقة وتمثيل المعاني والعواطف وذلك بتغيير اللهجة، بتنوع الصوت، فيهدأ الخطيب ويبطئ ويسرع ويغضب ويعجب. ويسأل ويجيب. وكل ذلك في استقامة لغة وسلامة منطق وبعد عن اللكنة وما يتبعه من كثرة اللججة والتلثم والالتجاء إلى جمل الاستعانة كتكرير أيها السادة مثلا... وهكذا.

وهكذا لا يبلغ الخطيب غايته إلا إذا كان حسن الإلقاء، جميل الأداء، قوى الروح ليواجه السامعين بالحق الواضح والذكر المبين.

ثالثاً: الصوت:

من الصفات الحسية اللازمة للخطيب الصوت الجهورى والعناية برفعه أو خفضه فى المواضيع المختلفة، إذ هو طريق الفكرة إلى الأذان، فلا بد أن يكون جيداً حلو النغمة، صافى الرنين، خالص النبرات. ويجب على الخطيب أن يعنى به ويقف على قوة ارتفاعه ومدى اتساعه حتى لا يكلفه فوق طاقته فيضحل ويتهدج، ويحسن مع ذلك أن يبدأ به فى انخفاض وتأن ثم برفعه رويدا رويدا حتى يبلغ به أقصى قوته، ثم يردده بين الصعود والهبوط مغيرا فى ميزاته ونغماته ووقفاته تبعا للمعنى الذى يؤديه محاذرا ألا يخرج به عن مستواه.

رابعاً: الوقفة والهيئة:

والمقصود بالوقفة: أن يكون الخطيب ثابت الجنان، شجاع القلب لا يحمل شيئاً من الجبن والخور ولا يهاب أحداً إلا الله. متمالك الأعصاب. هادئ الأنفاس مستقيم الصوت.

والمقصود بالهيئة: وضاعة الطلعة وحسن الهدام وجمال البزة. وإن كانت هذه صفات كمالية قد يغنى عنها جمال الأسلوب وحسن الإلقاء، إلا أن هذه أمور يجب العناية بها. ذلك أن الخطيب مطمح أنظار الناس ومحل تقديرهم، فإذا كان حسن المنظر جميل الهدام كان موضع تقدير ومحل احترام، وإن كان على العكس من ذلك فإنه قد يلقى إعراضاً ونفوراً. وقد قيل إن معاوية لما رأى النخار مرتديا عباءة رثة أنكروا مكانه وهيأته حتى اضطر النخار إلى أن يقول: "إن العباة لا تكلمك ولكن يكلمك من فيها"^(١).

فالواجب على الخطيب أن يكون وجيهاً كى يوقره الكبير ويهابه الصغير، ويأخذ كلامه الطريق إلى القلوب.

والمقصود بالوجاهة: ألا يببالغ العالم نفسه فى مظهره أو فى سيرته، بل يتحفظ ويجعل هيأته مقبولة بين الناس. قال رجل لعبد الله بن عمر: "ما ألبس"، قال: "ألبس ما لا يعيبك عليه العلماء ولا يزدريك فيه السفهاء". أى أن ملابس الخطيب يجب أن تكون بحيث لا يحتقره فيها الرعا، ولا يظن غيرهم أنه يتكلف فى

(١) الخطابة فى الإسلام... للدكتور جمعة الخولى والدكتور مصلح بيومى.

تجمله وزينته. ومن كلام الإمام عبد الرحمن بن الجوزي: "على أهل العلم أن يظهرُوا مروءاتهم في ثيابهم إكراما للعلم وإجلالا له". ويقول الإمام مالك: "التواضع في التقى والدين لا في اللباس".

خامسا: الحركة والملامح:

وكلاهما مساعدا ويقصد بهما الإشارات التي يمكن أن تشارك مع الكلمات والنبرات، كإشارات اليد التي تساعد على تثبيت الكلمات في النفس، لأن الكلام إذا كان طريقه الأذن، فالإشارة تشرك العين مع الأذن في الإحاطة بالمعنى وتصوره. ولذلك كانت الحركات عنصرا من عناصر العمل الروائي، وهي كذلك جزء من أجزاء الفن الخطابي لنفعها وإفادتها.

فاستعمال إشارة اليد تؤكد المعنى، وأسرار الوجه تكشف عن أسرار الضمير والخطيب يستطيع أن يعبر بملامح وجهه عن اللذة والألم والرضا والسخط والنفور والميل والسرور والحزن. وبالعيون عن العواطف المختلفة فيرفعها إلى السماء في الألم الشديد والدعاء، ويخفضها إلى الأرض في التفكير والحيرة والخشوع والحياء، أو يفتحها عند الاندهاش والإعجاب، ويطبقها عند التواضع والمسكنة.. وهكذا.

يروى التاريخ القديم عن مصعب بن الزبير أنه باستعمال الإشارة اليدوية أثناء إلقائه لبعض آيات القرآن الكريم رسم في نفوس السامعين كل الذكريات الدينية التي تشير إليها هذه الآيات وكأنما يحمل هذه النفوس حملا بإشارته إلى المواطن التي تعنيها هذه الآيات، فيجد السامع نفسه في موكب من الذكريات التي تكاد الإشارة أن تجسدها له تجسيدا.

إن مصعب بن الزبير قدم العراق فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طَسَّرَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * تَتْلُوا عَلَيْهِ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِيعُ آيَاتَهُمْ وَيَسْتَحْيِي، نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾ وأشار بيده نحو الشام إلى حيث نشأ موسى عليه السلام - وإلى حيث هاجر بقومه بعدما كان من أمر فرعون، فكانه أشار

(١) سورة القصص الآيات ٤:١.

إلى مسرح تلك الحوادث فارتسمت في أذهان السامعين بعد أن مرت عليها منات الأجيال.

ثم استطرد مصعب بن الزبير يقول: ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَيَجْعَلَهُمْ آيَةً وَيَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ، وأشار بيده نحو الحجاز، ثم قرأ ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَحُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾

• شروط نجاح الإشارة:

الخطيب الموفق هو الذي يضع الإشارة والحركة في محلها ومجالها، لذلك فلاصابتها شروط نذكر منها ما يلي:

(١) أن يقتصد في استعمالها قدر الإمكان، فلا يبالغ ولا يتكلف ولا يكذب.

(٢) أن تتفق مع المعنى فتبهط وتهدأ وتسرع وتثور تبعاً له.

(٣) ألا تسبق الكلام وألا تأتي بعده.

(٤) أن يكون حكيماً في استعمالها. مناسبة لما ينطق به لكي تجيء الإشارة جزءاً متمماً للكلام موضعاً له، وحتى يكون في استعمالها دقيقاً وموفقاً.

* * *

موضوع الخطبة الدينية

موضوع الخطبة في الإسلام وميدانها هو نفس الميدان والمجال الذي يعمل فيه الإسلام، والمجال الذي يعمل فيه الإسلام هو الحياة الأولى والآخرة جميعاً، فليس عمله هو الحديث عن الجنة والنار أو الحياة والموت كتلك الكلمات التي مل الناس سماعها، وكتلك الخطب المقروءة من بعض الدواوين والتي يسمعاها الناس في بعض مساجد القرى، ثم يخرجون لا يدرون ماذا قال خطيبهم إلا حديثاً عن الجنة أو النار، أو يخرجون وقد حفظوا ما قاله لكثرة ما تردد عليهم، أو كتلك الخطب التي تتناول النوح على الحياة والتخويف بالموت على نحو مطلق، فإن هذا لا يحصل في القلوب إيماناً بالله ولا توحيداً ولا يفيد معرفة خاصة ولا يذكر بالآئنه، ولا يبعث النفوس على محبته جل شأنه والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون وهم لا يدرون من الخطيب شيئاً إلا أنهم يموتون وتقسّم أموالهم ويبلى التراب أجسادهم !

كما أن موضوع الخطبة في الإسلام ليس هو الحديث عن هذا الجانب من الحياة أو ذاك فقط وإغفال الآخر. لا. إن موضوع الخطبة في الإسلام هو تلك المعاني الواسعة المحيطة بالحياة الأولى والآخرة معاً، المتحدثة عن الدنيا والآخرة والجسم والروح والسلم والحرب والإنسان والجماعة، وكل المعاني المفصلة لكافة الأحكام في شتى شئون الحياة.

ومن تأمل خطب الرسول ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلاً ببيان الهدى والتوجيه وذكر صفات الله جل شأنه وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وإحصاء نعمه وسرد نعمه التي تحببه إلى خلقه، وذكر أيام الله والأمر بشكره وذكره، فينصرف السامعون وقد أحبوهم وأحبهم. فالإسلام والحمد لله واسع جداً وفيه مجال للقول الكثير.

وبالجملة.. ففي الإسلام نظام شامل لكل مرافق الحياة "فيه الأحكام التي تنظم سلوك الناس في كل ما يصدر عنهم من أعمال عبادات على تعددها ومعاملات على تنوعها وتخالفها، وقد استقصى الفقه الإسلامي الشئون الاجتماعية وبينها

حتى دخل مع الرجل بيته وحكم بينه وبين زوجته، فبين ماله عليها ومالها عليه وفصل ما عسى أن يقع بينهما من خصومة وحكم بين الرجل وولده وبينه وبين نفسه حتى بعد مماته بين تقسيم ميراثه، ودفنه وقبره ثم أوصى بإيتامه خيراً، وبين كيف يوصى على أولاده وقدر ما يوصى به، وكيفية الحجر على السفية كل ذلك لينتظم أمر الحياة وليعيش المسلم عيشة منتظمة يتفرغ معها لإعداد الزاد ليوم المعاد، ولما كانت هذه الأحكام صادرة عن الوحي كان في التزامها والعمل بها سعادة البشرية أفراداً وجماعات. وكل ذلك تحقيقاً للقصد من رسالة محمد ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١).

نذكر هذا الكلام لنبين كيف أن الإسلام شمل كل الحقائق التي يحتاج إليها العالم في شئونه جميعاً وصدق الله حيث يقول: ﴿مَا قَرَّبْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَّا رِيحًا يُحْشَرُونَ﴾ (٢) وذلك هو موضوع الخطبة والتوجيه في الإسلام.

مصادر الخطبة الدينية

ينبغي أن يستمد الخطيب عظته ونصحه من النصوص الشرعية والعلوم الكونية والفضائل النفسية. والخطابة الإسلامية الرشيدة هي التي تستمد من القرآن الكريم والسنة المحمدية والنصوص الصحيحة وتسير في ضوئها. ولنا في هدى النبي ﷺ خير قدوة وأفضل توجيه..

فكثيراً ما كان يخطب بالقرآن الكريم. وفي صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة ما أخذت ﴿قَدْ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾ إلا عن لسان رسول الله يقرأها كل يوم جمعة إذا خطب الناس.

وكان عمر يخطب أحياناً بسورة النحل: ﴿أَفَإِمْرُؤُا لَّا يَسْمَعُونَ﴾.

فالقرآن الكريم والسنة الشريفة والنصوص الصحيحة وأقوال السلف الصالح هي المصادر التي ينبغي أن تستمد منها الخطبة الإسلامية. وتلك هي الروافد الدافقة التي تمد الخطابة في الإسلام. وهي الينابيع الصافية التي ينبغي أن يجعلها

(٢) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

الخطيب مصدر روائه وغذائه، ولا غرو فمن معانى القرآن الكريم تتفجر ينباع الخطابة الصحيحة. والخطابة المستمدة منه هي وقود النهضة الرشيدة وضياء أمة تريد أن تستقيم على دربها، إذ إن أسلوبه في خلق الضمير الزاكي والفكر الراقى وتقويم السلوك المعوج يكفى ويغنى ويشفى ويهدى للتى هي أقوم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١).

كما أن للقرآن قدرة فذة على قيادة الناس إلى الحق وعلى استثارة أفكارهم واستنشاء مشاعرهم والسمو بهم إلى كل ما هو خير.

ولم يكن الوعاظ والمذكرون في صدر الإسلام يذهبون إلى أبعد من الكتاب والسنة في توجيهاتهم ونصائحهم. وكان عماد الخطبة أو العظة في عصرهم إما القرآن وإما السنة وإما كلام مستمد منهما يدور في فلكهما ولا يتجاوز محيطهما.

وعندما نتأمل الخطب المروية لنا عن الخلفاء الراشدين نراها محكومة بتلك المعانى التى أشرنا إليها - وسنأتى بنماذج منها في الباب الأخير - وهى خطب فتحت لنفسها طريق الخلود والبقاء. فمازالت قائمة يرجع إليها الدعاة حيناً بعد حين ليقبسوا منها ويأتنسوا بهديها ويأخذوا منها القوة. بل ويتعلموا منها فنون الكلام.

وعلى الخطيب أن يحاول جهده فى أن تكون خطبته محكومة بهذا الإطار السابق، ولا مانع من الاستئناس ببعض القصص القصيرة والصحيحة خاصة للعامية التى تحب هذا النوع من القول وتطير وراء أصحابه وليكن ذلك بحذر وبقدر.

وفى القرآن الكريم والسنة المطهرة متسع كبير فى هذا المجال قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي فَصْصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَئِن كُنْتَ تُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

أما المتفقون فى هذا العصر فقد يضيقون أو يتبرمون من هذا الاتجاه، وإنما هم يحبون العبارة الرقيقة والأداء العالى فى أسلوب محكم؛ نظراً لارتفاع مستوى الثقافة وكثرة إطلاع الناس هؤلاء على ما تطبعه المطابع من ألوف الكتب.

(٢) سورة يوسف الآية ١١١.

(١) سورة الإسراء الآية ٩.

والذى نوصى به الخطيب أن يكون عماد درسه أو خطبته القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة وأقوال السلف الصالح، وعدم الجرى وراء القصص المسلية والإسرائيليات الموضوعية، فإن ذلك موضع نقد شديد وشكوى كثيرة من الجمهور للخطيب. ثم إنه ينبغي ألا يغفل جانب الخطورة التى تعود على المسلمين من رواية الإسرائيليات، نظرا لما تحويه من أباطيل وخرافات نسب بعضها إلى الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، وذلك من حيث إنها تفضى إلى الآتى: (١)

(١) إنها تظهر الإسلام بمظهر الدين الذى يعنى بالترهات والأباطيل التى لأصل لها. كما أنها تصوره فى صورة دين خرافى يعشق الخرافات ويطير وراءها. ويعنى بأوهام من صنع الخيال.

(٢) إن رواية مثل هذه الإسرائيليات تكاد تصرف الناس عما هو أهم فى دينهم ودنياهم وتشغلهم بالتوافه والصغائر عن البحث فى الأحكام والتفاصيل المهمة، وعن التدبر فى آيات القرآن والانتفاع بعبره وعظاته وقصصه الحق، مع أن شغل الناس بمثل هذه الأمور مضيعة للوقت فيما لافائدة من معرفته، ويعتبر البحث عنه عبثا محضاً.

(٣) إن مثل هذه الروايات لاتذكر هكذا. وإنما تنسب إلى بعض الصحابة والتابعين. الأمر الذى يسىء إلى سمعة صحابة أجلاء وتابعين كرام. ويهز الثقة فيهم. ولعل نتيجة ذلك ما كتبه أبو رية فى كتابه "أضواء على السنة المحمدية" ونال فيه من أمثال الصحابى الجليل أبى هريرة وطعنه فى روايته وعن توثقه مما جعل العلماء يتصدون له ويردون عليه (انظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى لمصطفى السباعى. ودفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة).

(٤) إنها تشوش على عقائد العامة وأفكارهم لعدم تمييزهم بين الحق والباطل، والحق أن النفس إن لم تكن لها حصانة من علم صحيح وبصيرة نيرة تميز بها بين الحق والباطل كثيرا ما تتطلى عليها تلك الأعاجيب وتسلم فى بساطة ويسر للغرائب ولو كانت أكاذيب.

(١) انظر ابن الجوزى الواظع ص ٣١٧/٣٢٠ "رسالة دكتوراه للدكتور جمعة الخولى.

وكثيرا ما يثير الدهشة ما يرويه بعض العوام من قصص فيها هدم للسنن الكونية. بل وهدم لأركان الدين وأحكامه وترويج للفسق والفجور ودعوة إلى أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.. وكثيراً ما أستاء مما أسمع من أحاديث تتسبب لرسول الله ﷺ أو أحد صحابته رضى الله عنهم لمجرد هز الثقة أو الإساءة لأحد هؤلاء ويهولنى ما بها من خرافات وأوهام.. ولذا فقد أوصينا ونوصى الخطيب أن يسير فى نسج خطبه على نور القرآن الكريم والهدى النبوى الشريف وأن يتجنب الجرى وراء الخرافات والأحاديث المجهولة الأصل أو المدسوسة، وأن يتأكد من مصادره قبل أن يلقى بعباراته فى قلوب السامعين قبل أسماعهم.

* * *

إعداد الخطبة

من المهم جدا أن يعد الإمام خطبته ويحضر موضوعه حتى يكون كلامه مركزا ومنظما، فيفيد جمهوره ويرضى ضميره. ويحاول أن يكون موضوع الساعة ومشكلة الأسبوع حتى يربط بين الدين والحياة.

يفكر في موضوعها ويرتب عناصرها في نقاط.

ثم يشرح تلك النقاط مستندا على القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف من الأئمة والصالحين وأعمالهم، ويستخلص النتائج التي تناسب الظروف الراهنة والأحوال الطارئة، وهو بذلك يشد انتباه المصلين إليه ويجعلهم ينتظرون موعد خطبة الجمعة بفارغ الصبر، فيومه الناس وتقصده الجماهير من كل مكان مما هو معروف من سيرة بعض الدعاة في ماضينا وحاضرنا.

أما إذا لم يعد خطيب الجمعة موضوعه بدا وكل الدلائل تشير إلى أنه شارد الذهن. مشتت الفكر فيشرق ويغرب ويأتى بأفكار من هنا وهناك وبكلام أكثره غير منطقي يشيع فيه التناقض والاضطراب، وكثيرا ما ينسى شيئا وتغيب عنه أشياء، فيكرر نفسه ويطول الكلام ويمضى الزمن بدون جدوى ويدب إلى السامعين الملل والتنمر، وكل ذلك نتيجة اعتماد الخطيب على الكلام المرتجل الذي قد يخطر على بال صاحبه في اللحظة والتو دون سابق تحضير.

• كيفية إعداد الخطبة:

وإذا لم يكن من إعداد الخطبة بد. فكيف نعدّها؟ ذلك ما نفضله في الآتي:

هب أنني مقدم على الحديث مع مسئول كبير لي عنده حاجة فماذا أفعل.. إنه عليّ - والحالة هذه - عدة أمور:

- (١) أن أستبين الموضوع الذي سأتكلم به إليه وأحدد غايته منه تحديدا كاملا.
- (٢) أن أرتب مقدمات الحديث وأساليب النقاش مستعدا للرد على كل ملاحظة يمكن أن تثار.
- (٣) أن أكون مرنا ولبقا في كل ما يوجه إليّ من كلمة أو رأى أو معارض.
- (٤) أن أستعد بالأسلوب السهل والكلمات ذات المعنى الأكثر تعبيرا عن الفكرة.

وهكذا.. وعلى ضوء هذا من الممكن أن تعد الخطبة.

وأنة من الخير دائما أن يخلو الإنسان إلى نفسه قبل الخطابة أو الكلام، ثم يذهب في هدوء يتصور نفسه قائما في الموقف الذى سيكون فيه، ثم يشد عقله ومواهبه لمواجهة هذا الموقف واحتمالاته.

فبقدر إتقان أساليب الخطابة والاستعداد لها والمران عليها فى "البروفات" مرانا كافيا يكون النجاح المرجو.

تأليف خطب الجمعة وإلقاؤها

أما عن كيفية إعداد خطبة الجمعة فهذا ما نقوله فى الآتى:

على الخطيب أن ينظر فيما حوله من الأمور المهمة والأحداث اليومية التى تشغل الناس فى أحاديثهم وتدور على ألسنتهم ولها آثار بينة بينهم، ثم يتخير من هذه الحوادث أهمها ويجعلها موضوع خطبته ومدار عظته، ثم يستحضر ما ورد من الآيات والأحاديث الصحيحة فى الموضوع الذى اختاره. ويفكر إن كان موضوعه التنفير من الرذيلة فى الأضرار التى تنشأ عنها، ويتوسع فى فهم هذه الأضرار ويستحضر الألفاظ والأساليب التى تخص موضوع خطبته.

فإن كان موضوعه مثلا "التنفير من شرب الخمر" يفكر فى الأضرار الصحية والمالية والخلفية والاجتماعية فوق ما أعد الله من العقاب لشارب الخمر^(١).

وإن كان موضوعه دعوة إلى عمل نافع يفكر فى آثاره الجليلة ومنافعه الجزيلة فى الدنيا، وما أعد الله فى الآخرة من النعيم لفاعله.

فإذا أراد - الكلام فى حث الناس على تكوين جمعية للبر بالفقراء. ففكر فى آثار هذا العمل فى نفوس الفقراء وفى معيشتهم وحالتهم الاجتماعية، وفى أن هذا يصرفهم عن التفكير فى سلب أموال الناس وإقلاق راحتهم فتستقر النفوس، ويستتب الأمن، وتصفو الحياة ويفكر فى الثناء الذى تنطق به الألسن على هؤلاء الخيرين. والذكرى للإنسان عمر ثان، ثم يفكر فى أن هذا العمل يجعل الأغنياء والفقراء متحابين تشيع بينهم المودة والمحبة متضامنين، يشعر كل واحد منهم بحاجته للآخر، ويذكر ما أعد الله للمحسنين من جزيل الثواب فى الدنيا والآخرة.

(١) انظر مرآة المرشدين للشيخ على رفاعى.

وليكن تفكيره في جو من الهدوء وصفاء النفس وطهارة القلب والنية الصادقة والإخلاص في الدعوة إلى الله وما أجمله - قبل التفكير - .

أن يطهر قلبه ولسانه بقراءة ما تيسر من كتاب الله تعالى ويستلهمه المعونة والتوفيق ولا ينتظر الخطيب من الناس ثناء ولا شكراً، ولا يؤمل منهم أجراً بل أجره على الله رب العالمين، ولا يأبه للحاقدين والحساد، بل يسير في طريقه داعياً إلى الله ناصحاً لعباده، قدوته إمام الخطباء رسول الله ﷺ الذي نزل على لسانه ﴿وَمَا تَشَاءُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١).

وبهذا نرى أن هناك أركاناً ثلاثة لا بد للخطيب من رعايتها:

(١) موضوع الخطبة أى "عنوانها".

(٢) المادة العلمية التى تقوم عليها الخطبة.

(٣) صياغتها النهائية.

ولتسهيل الأمر عليه: فإنه ينبغي له أن يقسم الخطبة إلى عناصر وفقرات مترابطة، ثم يستحضر هذه العناصر، ويستحضر فى نفسه أساليبها والعبارات التى تؤدى بها.

ويجب على الخطيب أن يجعل كلامه فى الخطبة الثانية امتداداً لمضمون الخطبة الأولى فى عبارات موجزة وأسلوب سهل.

ومن العيب أن يلتزم الخطيب فى الخطبة الثانية خطبة يكررها كل أسبوع لا يحد منها ولا فائدة للناس بها. حتى أن - البعض تعود أن يقرأ على الناس عبارات ملوا سماعها وحفظوها من كثرة التكرار وتركوا التفكير فيها.

أما إذا شرح الموضوع الذى يريد الكلام فيه فى الخطبة الأولى ورأى أنه لاجمال فى الثانية لجديد يضاف فإننا نرى الاكتفاء فى الخطبة الثانية بالديباجة التى تتضمن الثناء على الله ثم الدعاء المطلوب للمؤمنين والمؤمنات. ويكفى فى الديباجة مثلاً أن تكون على هذا النحو:

(١) سورة يوسف الآية ١٠٤.

الحمد لله موفق العالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين. وأشهد أن محمدا رسول الله الصادق الأمين، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين. ونختار صيغ الدعاء الآتية.. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا. واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر. اللهم إنا نسألك موحيات رحمتك، وعزائم مغفرتك. والعصمة من كل ذنب. والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم لاتدع لنا ذنبا إلا غفرته، ولا ديننا إلا قضيته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها ويسرتها يا أرحم الراحمين، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

ولا بأس من الدعاء بالتوفيق والرشد لحكام المسلمين، فقد قال الحسن البصري لو كانت لى دعوة مستجابة لوهبتهما للسلطان، فإن الله يصلح بصلاحه خلقا كثيرين. نسأل الله أن يوجهنا وجهة الخير، ويرزقنا الإخلاص فى القول والعمل.



كيفية اختيار موضوع الخطبة

الأساس في هذا أن يتخير الخطيب موضوع خطبته ويمعن التفكير فيه، مبيّنا المنافع والمضار المتعلقة به. ثم يستحضر الآيات والأحاديث المرتبطة به.

أما الآيات فالقرآن فيه تبيان كل شيء. وسنجد فيه ما يشفي صدور المؤمنين. وأما الأحاديث فقد سهل سلفنا الصالح علينا أمرها فدونهاها في كتب الصحيح، وهناك بعض الكتب المساعدة على ذلك مثل:

(١) كتاب رياض الصالحين للنووي، وكل ما فيه أحاديث صحيحة مقبولة.

(٢) كتاب الترغيب والترهيب للمنذرى.

(٣) كتاب مفتاح الخطابة والوعظ للعدوي، وهو الذي جمع فيه لكل موضوع ما يناسبه من الآيات والأحاديث، وقد وفر عليك كثرة البحث والتنقيب ولاغنى للتصدي للخطابة الدينية عنه.

وإليك بعض النماذج التي تفيد في صناعة الخطب ليسير من يريد من الخطباء على منوالها، ثم هناك باب كامل في أشهر خطب الرسول ﷺ والصحابة من بعده، سيأتي فيما بعد، لنتزود من الهدى المحمدي النوراني الذي نهم منه صحابته الأجلاء رضوان الله عليهم، والله الموفق للرشاد والمهيم للصواب.. وعلى الله قصد السبيل.

مثال لإعداد إحدى الخطب الدينية

أثر الجهاد في الإسلام

الآيات:

- (١) ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثِ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (١).
- (٢) ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢).
- (٣) ﴿فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ (٣).
- (٤) ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٤).

الأحاديث:

- (١) من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق.
- (٢) والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله ثم أقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل.
- (٣) من قاتل في سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة.
- (٤) عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله.

التحليل العلمي لهذا الموضوع

- (١) الإسلام دين عزة وكرامة. وشرع لتحقيق ذلك الجهاد.
- (٢) مشروعية الجهاد في الإسلام.
- (٣) بالجهاد انتصر الحق على الباطل وعلت كلمة المسلمين.
- (٤) الله مع المجاهدين بالنصر أو الشهادة.
- (٥) الإعداد المادى والروحي طريق النصر.

(٢) سورة للتوبة الآية ٢٤.
(٤) سورة الأحزاب الآية ٢٣.

(١) سورة التوبة الآية ١١١.
(٣) سورة النساء الآية ٧٤.

(٦) صفات الجندي المسلم.

(٧) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيَتْهُمْ فَعَلَّةٌ فَأَثْبَتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

(٨) سبيل الجهاد الحق.

الصوغ الخطابي للموضوع

الحمد لله الذي جعل الجهاد بابا من أبواب الجنة. من أحجم عنه ألبسه الله ثوب النذل والعار، سبحانه ضمن للمجاهدين في سبيله الأجر والغنيمة في الدنيا، وفي الآخرة منازل الأبرار مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما. وأشهد أن لا إله إلا الله أعز الإسلام بالجهاد ورفع مناره. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده وكان أحب شيء إليه أن يرزقه الله الشهادة في سبيله لمنزلتها من الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١)

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والمجاهدين في سبيله إلى يوم الدين.

أما بعد. فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَلَىٰ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي النَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢).

أيها المسلمون.. الإسلام دين عزة وكرامة شب منذ نشأته الأولى عزيز المكان نافذ السلطان، ولقد حفظ الحق وحماه من عبث المبطلين وقسوة الظالمين وأبى إلا أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وأعز أهله وأمنهم في ديارهم ودينهم وكرامتهم. وشرع لتحقيق عزتهم ما يجعلها بنجوة من إذلال

(٢) سورة آل عمران الأيتان ١٦٩: ١٧٠.

(١) سورة الأنفال الآية ٤٥.

(٣) سورة التوبة الآية ١١١.

المسيطرين وقهر المتجبرين. ففرض الجهاد على القادرين من المسلمين وحثهم عليه ودعاهم إليه وأمرهم أن يعدوا العدة التي ترهب عدو الله وعدوهم. ورفع من شأن الجهاد في سبيل الله حتى جعله ذروة سنام الإسلام، فقال النبي ﷺ رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد.

فبالجهاد انتصر الحق على الباطل، وعلت كلمة الدين، وعز جانب المسلمين، فلم يتحكم فيهم عدو ولا يتهيمن عليهم مغير، وبالجهاد أمن الناس على نفوسهم وأعراضهم وأوطانهم وأموالهم وعقيدتهم. وبالجهاد ينال المسلمون أجرهم وغنيمتهم، وبالجهاد يعقدون مع ربهم أربح صفقة في حياتهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَدُّونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١).

وقد روى البخارى ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها" وقال: "من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار" وقال: "عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله".

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَوْغِطُ الْكُفَّارُ وَلَا يَنَالُونَ مِنَ عَدُوِّنَا إِلَّا كَيْبٌ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُفْقِرُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢). ولقد كان لتلك الوصايا الإسلامية أثرها الفعال فى نفوس المسلمين السابقين، وهم الذين اشربت قلوبهم محبة الله ورسوله، وتغلغل الإيمان فى قلوبهم، فصاروا يدافعون عنه بمهجمهم وأرواحهم. فلم يكدر رسول الله ﷺ يدعو إلى الجهاد حتى تسيل عليه الأودية بالمجاهدين يبيعون لله أنفسهم ويبدلون لرسوله أموالهم، فلا يتخلف عنهم إلا أولئك الذين عذرهم الله من الضعفاء والقاعدين، وإلا أولئك الذين لعنهم الله من المنافقين، وكانت روحهم المعنوية عالية جدا بفضل استهانتهم بالحياة وحبهم للشهادة فى سبيل الله. فكان الرجل منهم يهزم فى ساحة الوغى عشرة من

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٦٩: ١٧٠.

(٢) سورة التوبة الآيتان ١٢٠: ١٢١.

الفرسان كلهم مثله وبنمو عمومته. وبالعكس كان الضعف والتخاذل حليف المشركين لكرهاتهم الموت وحبهم للدنيا وطمعهم في متاعها الحقيق ولذتها المحدودة وحطامها الفانى. ولما سأل المقوقس رسله عن صفات الجندي المسلم قالوا.. رأينا قوما الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة. فليس لأحدهم رغبة في الدنيا ولاتهمه. وإنما جلوسهم في التراب وأكلهم على الركب وأميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد. يغسلون أطرافهم بالماء ويخضعون في صلاتهم. فقال المقوقس: لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأز الوها، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد.

أيها المسلمون.. بهذه الروح العالية والصفات المثالية استطاع المسلمون أن يحكموا عامر الأرض، وأن يبلغوا رسالة الله في طول البلاد والعرض، وأن يطاولوا عروش الأكاسرة والقيصرة ويصاولوا الجيوش الجبابرة حتى دانت لهم الأمم وخضعت لهم الرقاب. وما بلغ المسلمون غايتهم ولم يحققوا آمالهم إلا بفضل طاعتهم لله واستمسакهم بدينه واعتصامهم بحبله وصبرهم حين البأس، وإخلاصهم لله في الحرب، واستعانتهم بالله على الأعداء، واتحادهم وتناصرهم، فكان لهم من هذا كله قوة أقوى من الحديد وأحمى من النار وأشد على الأعداء من وقع السهام في غيبش الظلام. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُرُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِيعَةَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١﴾.

ولقد صرح بهذه الحقيقة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ لقائده سعد بن أبي وقاص، حيث قال: يا سعد أمرك ومن معك بتقوى الله فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم. فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون لمعصية عدوهم الله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم طاقة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا، وألا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم

بقوتنا ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا، وإن أسأنا فرب قوم ساط عليهم من هو شر منهم.

أيها المسلمون.. هذا هو سبيل الجهاد الحق ودليل الوطنية المخلص. وما من أمة تعزز كفاحها بهذا المبدأ الصادق إلا قويت شوكتها وأرهبت أعداءها. وأن الكفاح المرير الناشب الآن بين العرب والصهيونية لا يد أن ينتهي بنصرة العدل ولعنة الظالمين، مصداقا لقوله جل شأنه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَنَ عَلَيْهِمُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْكَةِ مَنْ يُسُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) وروى البخارى عن رسول الله ﷺ أنه قال: "تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله".

وسأل ابن مسعود النبى ﷺ أى العمل أحب إلى الله عز وجل.. قال الصلاة على وقتها، قال ثم أى: قال ثم البر بالوالدين. قال ثم أى. قال الجهاد فى سبيل الله.. رواه البخارى ومسلم.

صفات الخطيب أو الداعية الناجح

بعد أن تحدثنا عن الخطابة وعن أصولها، ومقوماتها، والخطبة الدينية وما تستلزمه، وعن كيفية إعداد الخطبة الدينية وبالأخص "خطبة الجمعة"..

يقضىنا الحديث أن نتعرف على صفات الخطيب أو الداعية الناجح الذى يودى واجبه فى بصيرة. بشىء من التوضيح، - وقد تناولنا ذلك من قبل عندما تحدثنا عن الخطيب بصفة عامة- ولكننا سنحدد هذا أكثر ونتحدث عن صفات الخطيب الداعية إلى الله عز وجل. ذلك لأن الخطيب فى ضوء الإسلام هو الداعية الموفق.

فالداعية إلى الله عز وجل ليس مجرد خطيب يخطب الناس فيلهب مشاعرهم وإنما المراد به من يؤمن بفكرة، يدعو إليها بالكتابة، والخطابة، والحديث العادى والمحاضرة، والعمل الجدى فى سيرته العامة والخاصة. وبكل ما يستطيع من وسائل الداعية. فهو كاتب، وخطيب، ومحدث، وقدوة يؤثر فى الناس بعمله وشخصيته.. والداعية أيضا طبيب اجتماعى يعالج أمراض النفوس، ويصلح

(١) سورة الأعراف الآية ١٦٧.

أوضاع المجتمع الفاسدة، فهو ناقد بصير.. وهو كذلك يشعر بأن دعوته حية فى أعصابه، متوهجة فى ضميره، تصبح فى دمائه، فتعجبه عن الراحة والدعة إلى الحركة والعمل، وتشغله بها عن نفسه وولده وماله.

وهذا هو الداعية إلى الله تعالى، الذى يحس إيمانه بدعوته فى النظر، والحركة والإشارة، وفى السمة التى تظهر على وجهه، وهو الداعية الذى ينفذ كلامه إلى قلوب الجماهير، فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته.

وليس معنى هذا "المهرج" الذى يصطنع الحماية ليلعب بمشاعر الجماهير لأنفه الغايات^(١).

وعلى هذا فالداعية إلى الله تعالى أو المرشد أو الخطيب الناجح هو الذى يتصف بكثير من صفات الفضل والكمال التى منها:

١- أن يكون عالما بما يقول، فاهما له على الوجه الصحيح. لأن الجاهل يفسد أكثر مما يصلح. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقُولَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يفلحُونَ * مَتَّع قَلِيلًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

وقال الحسن البصرى: "العامل على غير علم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح".

٢- أن يكون عاملا بعلمه. وهذه ناحية مهمة لا يغفل عنها الداعية إلى الله تعالى، فكم من علماء جهابذة فى العلم لا ينتفع -غالبا- بكلامهم لأنهم فى ناحية، وعلمهم فى ناحية أخرى، مما يكون عقبة فى سبيل الإصلاح. وهيهات أن ينتفع بعلمهم، فإنهم قد فقدوا الرشد فى أنفسهم فكيف يرشدون غيرهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَقُولُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَقُولُونَ﴾^(٢). وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض شفاهم بمقاريض من النار، فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال:

(٢) سورة النحل الآيات ١١٦: ١١٧.

(١) تذكرة الدعاة للأستاذ البيه الخولى ص ٢٦، ٥.

(٣) سورة الصف الآيات ٢: ٣.

الخطباء من أمثك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون" (١). وقال الحسن البصرى: "الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله".

٣- أن يكون خبيراً بما يدعو إليه، لأن الدعوة إلى الله تعالى تعليم وتربية.. لا بد فيها من الدراية بأصول القواعد التربوية، والأحوال النفسية، والجاهل بهذه الطرق يخفق كثيراً فى مهمته، فقد يضر من حيث يظن أن يعتقد أنه ينفع (٢).

معنى هذا أن الداعية يسير فى دعوته مسترشداً بهذه الآية الكريمة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣).

٤- أن يكون الداعية عفيفاً يائساً مما عند الناس. بهذا يكون سيداً فى قومه محبوباً لديهم. أما إذا تطلع إلى دنياهم أدى هذا إلى تحقيره وسقوطه فى نظرهم، فعن سعد بن أبى وقاصؓ أن رجلاً قال يا رسول الله أوصنى وأوجز فقال: "عليك باليأس مما فى أيدى الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما يعتذر منه" (٤).

وقال الحسن البصرى: "لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع فى دينارهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه".

وقال أعرابى لأهل البصرة: من سيدكم؟ قالوا الحسن. قال: بم سادكم؟ قالوا احتاج الناس إلى علمه واستغنى عن دينارهم. فقال: ما أحسن هذا.

٥- أن يكون قوياً فى بيانه، فصيحاً فى لسانه. ولذلك قال تعالى على لسان سيدنا موسى - عليه السلام -: ﴿وَأَحْمَلْ عَقْبَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي هَكَوَيْتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ (٦).

٦- أن يكون حليماً واسع الصدر. قال تعالى لإمام الداعين إلى الله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأْتَفَضُّوا مِن حَوْلِكَ﴾ (٧).

٧- أن يكون الداعية شجاعاً. يقول الحق ولو على نفسه، فما بالك إذا كان

(٢) الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه للشيوخ عطية صقر ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٤) رواه الحاكم وصححه.

(٦) سورة القصص الآية ٣٤.

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه.

(٣) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٥) سورة طه الآيتان ٢٧: ٢٨.

(٧) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

على غيره مهما كانت قيمة هذا الغير. قال ﷺ: "إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم" (١).

وعن أبي ذر الغفاري ﷺ: "أوصاني خليلي بخصال من الخير، أوصاني أن لا أخاف في الحق لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرًا" (٢).

٨- أن يكون واثقا بالله تعالى فيما وعد به عباده المخلصين الصادقين ﴿يَتَابِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يُعْزِمَهُمْ وَيَبْتَئِنُّهُمْ﴾ (٣).

٩- أن يكون متواضعا، بعيدا عن العجب. قال ﷺ: "ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" (٤).

١٠- أن يكون وقورا، كبير الهمة، صابرا، ورعا، بعيدا عن الشبهات، مخلصا في دعوته لله تعالى، عالما بأحوال من يدعوهم إليه عز وجل، إلى آخر هذه الصفات المتعددة التي ترجع كلها إلى ما ذكرنا (٥).

بعد أن عرفنا هذه الصفات الجيدة للخطيب أو الداعية الناجح لعل أحدا من الناس يسأل. وهل اكتملت هذه الصفات في خطيب أو داعية إلى الله مخلص؟

والجواب على ذلك: نعم. اكتملت هذه الصفات وغيرها في رسول الله ﷺ. وصدق الله إذ يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ كَبِيرًا﴾ (٦).

وإذا اعترض أحد بأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - كان معصوما من الخطأ وليس أحد سواه تنطبق عليه هذه الصفات؟

حينئذ نجيب على هذا الاعتراض بأن هناك من الخطباء والدعاة إلى الله المخلصين الذين تربوا على هدى المصطفى ﷺ أمثال: الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين، ومن صاروا على منوالهم إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٦) سورة الأحزاب الآية ٢١.

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد عن عبد الله.

(٣) سورة محمد الآية ٧.

(٥) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ.

تطور الخطابة

لا بد لنا ما دمنا نطرقنا لموضوع "الخطابة في الإسلام" أن نلقى نظرة عابرة على تطور الخطابة عموماً، والعوامل التي أدت إلى هذا التطور حتى نعرف الأثر الكبير الذي تركه الإسلام في هذه الوسيلة المهمة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وحتى ندحض ادعاء بعض المستشرقين الذين يرون أن - الخطابة العربية- أو الإسلامية كما نسميها انتقلت من مرحلة السذاجة والضعف إلى مرحلة اليقظة والقوة والترقى بفعل تداخل الآداب الأخرى فيها. خاصة الأدب اليوناني القديم.

ولو اقتصر هذا القول عليهم لهان الخطب، ولكن من المؤسف أن نجد بعض الباحثين من العرب يقولون بهذا الرأي مجازاة لهؤلاء المستشرقين.

• الخطابة قبل الإسلام:

بالبحث نجد أن الخطابة فطرية في الإنسان لا يخلو منها أى مجتمع من المجتمعات التي حفظ التاريخ آثارها من أقدم العصور وإلى يومنا هذا.

فإذا ما نظرنا - مثلاً- إلى أمة اليونان نجد أن فيها الكثير من البلغاء الذين يستطيعون تحريك الشعب إلى ما يريدون.

وكان هذا في أثينا في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح - عليه السلام- وكان الناس حينذاك يجدون لذة في الاستماع إلى خطيب بارع يتحدث إليهم فى موضوع من الموضوعات المحببة إلى نفوسهم.

ولما جاء الدين المسيحى بعث فيها روحاً جديدة وقام الرسل بالتبشير فكانوا كلهم خطباء، إذ قيل لهم سيروا فى الأرض وعلّموا الأمم. على هذا قامت الكنائس على آثارهم. كما أن هذا الدين فى حاجة إلى إرشاد مستديم مما أدى إلى نبوغ بعض آباء الكنيسة فى فن الخطابة، وكان هذا سبباً فى ازدهارها.

ولكن سرعان ما تطرق الضعف إلى هذا الفن الخطابى بسبب انسياب بعض اللغات الغربية إلى اللغة اللاتينية التي كان يخطب بها الخطباء. كذلك وجود عدد

غير قليل من الخطباء الذين يتخذون هذا الفن وسيلة للكسب وجمع المال والهدايا، فنزلت بذلك عن مقامها السامى.^(١)

ثم أخذت الخطابة تقوى تارة وتضعف تارة أخرى إلى أن جاء العصر الجاهلى الذى كان نصيب الشعر فيه أقوى من الخطابة بكثير، مما جعل أبو عمرو ابن العلاء يقول: " كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم، ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم".

فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقه وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر.

وإذا بحثنا عن الأسباب التى أدت إلى اشتهاار الخطابة فى العصر الجاهلى نجدها تتلخص فيما يلى:

الحمية الجاهلية. وشن الغارات فى المدافعة عن النفس والمال والعرض، والمفاخرة بالشعر والخطب فى الحسب والنسب وقوة العصبية، وشرف الخصال من الشجاعة والكرم والنجدة وحماية الجار وإياء الضيم وغلبة الأمية على العرب ونعذر طرق التواصل المنظمة بينهم وتفرقهم إلى قبائل مستقلة.. إلخ.^(٢)

وإذا نظرنا فى خصائص الخطابة فى العصر الجاهلى نجدها تتلخص فى قصر الجمل، وعدم الاهتمام بالمقدمات والتزام السجع غالباً، وسذاجة الأفكار..

وكان من أشهر الخطباء فى ذلك العهد: قيس بن خارجه بن سنان خطيب حرب داحس والغبراء، وخويلد بن عمرو الغطفانى خطيب يوم الفجار، وقيس ابن ساعدة الأبادى خطيب عكاز، وأكثم بن صيفى.. إلخ.

وفىما يلى نذكر نموذجاً لخطبة لأحد هؤلاء وهو.. قيس بن ساعدة الأبادى.
يقول فى خطبة له..

(١) الخطابة للدكتور نقولا فياض - طبع دار الهلال بمصر ١٩٣٠م.

(٢) مذكرة الخطابة، للشيخ على محفوظ - الطبعة الثالثة.

" يا أيها الناس اسمعوا وعوا. وإذا وعيتم فانتقعوا، إنه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت. مطر ونبات. وأرزاق وأقوات. وآباء وأمهات. وأحياء وأموات. جمع وشتات. وآيات بعد آيات. إن في السماء لخبرا. وإن في الأرض لعبرا، ليل داج. وسماء ذات أبراج. وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج. مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون. أرضوا بالمقام فأقاموا. أم تركوا هناك فناموا. أقسم قس قسما حقا لا حنث فيه ولا إثما. إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه، ونبينا قد حان حينه. وأظلم أوانه. وأدرككم إبانة فطوبى لمن أدركه فآمن به وهداه، وويل لمن خالفه وعصاه. إلى أن قال:

فى الذاهبين الأولـ	ين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	بمضى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى إلى لا	من الباقين غايـر
أيقنت أنى لا مجا	لة حيث صار القوم صائر

نلاحظ فى أسلوب هذه الخطبة: السجع وقصر الفواصل، وتخيير اللفظ^(١) وضرب الأمثال، واستنتاج العبر من مصارع الطغاة وظواهر الكون.. إلخ.. كما هو الأسلوب الغالب فى العصر الجاهلى.

• الخطابة فى الإسلام:

عرفنا فيما سبق أن اليونان والرومان، والرسل فى المسيحية، وأهل الجاهلية كل هؤلاء وغيرهم لم يستطيعوا أن يخرجوا من الخطباء النابهين مثلما خرجت هذه البيئة العربية فيما يقرب من أربعين سنة بعد أن تشرفت بالإسلام. ولا أن يرتفعوا بخطابتهم إلى هذا المستوى عدداً وعدة وتوسعا وتنوعا فى أفانين القول

(١) صبح الأعرشى فى صناعة الأثنا للفتشندى ج ١ ص ٢١٢، الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ج ١٤ ص ٤٠، وتاريخ الأدب العربى للأستاذ أحمد حسن الزيات - الطبعة السادسة.

وازدهارا في مجال النمو، وأن هذه الدعوة الدينية كما أحدثت انقلابا لا مثيل له في المجتمع البشري قد أحدثت في مجال الخطابة انقلابا كبيرا. فنبئت على حواشيتها خطابة دينية في صورها المختلفة، وأخرى في السياسة والحكم والحرب والاجتماع وجدل الأحزاب والطوائف كأقوى وأروع ما تكون الخطابة، على حين لم تكد النهضات القديمة والحديثة على اختلاف مواطنها ومنابعها إلا خطابة من نوعها بخلاف النهضات الدينية، فإنها حققت الكثير من وسائل الدعوة إلى الله تعالى وفي مقدمتها الخطابة.^(١)

والخطابة في صدر الإسلام لها المكانة العليا والمقام الأسمى، وكان الخطباء ينتقون من جواهر الألفاظ أعذبها وأظرفها وأحلاها، ومن المعاني أرقها وأدقها وأعلاها، ومع ذلك فقد كانوا يضمنونها آيات من كتاب الله لتزداد حلاوة وتجذب الناس إليهم، حتى أنه كان يعاب على الخطبة أنها ليس فيها آية من كتاب الله.

وبلغت الخطابة زمن الخلفاء الراشدين عنفوان شبابها، فإن القرآن الكريم بما اشتمل عليه من أساليب رائعة أعانهم على الخوض في عباب البلاغة، ولم تكن الخطب في مجتمعهم تنقيد بوقت معين، بل كلما دعت الحاجة إلى القول اجتمعوا فألقيت عليهم الخطبة استنارة أو وعظ أو تنكيرا أو إعلان أو امر أو ما إلى ذلك من أغراض، وكان الخطيب إذا قال في أمر ما سحر الألباب وفتح بآيات الوعظ ما لا يفتح بالسيوف المرهفة يؤلف من فرقة ويسكن من فتنة ويقطع المنازعات ويزيل الأحقاد.

وبشيء من المقارنة نجد أن الخطابة في عهد الإسلام قد امتازت عنها في عهد الجاهلية وغيرها بأمور تنحصر فيما يأتي:

- ١- أخذها وجهة دينية في مثل خطب الجمع، والأعياد، والحج، والوعظ والإرشاد والتعليم وغير ذلك مما يستلزمه نشر الدعوة الدينية.
- ٢- اتباعها خطة سياسية في مثل تأليف الجماعات والأحزاب وتوحيد الكلمة والحث والتحريض على القتال لإعلاء كلمة الله بحالة تغاير ما كانت عليه العرب في الجاهلية في ذلك.

(١) الخطابة في صدر الإسلام للدكتور محمد طاهر درويش - ج ١ ص ١٨١ - ٤٤٢ مطبعة دار المعارف ١٩٦٥م.

٣- صفاء ألفاظها وسهولة عباراتها ومتانة أساليبها وتجنبها سجع الكهان وقلة القصد فيها إلى سرد الحكم القصيرة الدقيقة لمناسبة وغير مناسبة، خلافا لما كانت عليه خطباء الجاهلية.

٤- قوة تأثيرها ووصولها إلى سويداء القلوب وامتلاكها للوجدان والشعور بما رقق القلوب الغليظة القاسية وأسأل الأعين الجامدة.

٥- محاكاتها أسلوب القرآن الكريم في الإقناع واستمدادها من آياته حتى اشترط بعض الأئمة اشتغال الخطبة على شيء منه.

٦- بداعتها بحمد الله عز وجل والثناء عليه، والصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه. هذا ولم تسعد العرب بكثرة الخطب والخطباء مثل ما سعدت به في العصر الإسلامي الميمون.^(١)

• عوامل تطور الخطابة في الإسلام:

تطور الخطابة في الإسلام عوامل متعددة نلخصها فيما يلي:

١- من أهم العوامل التي أدت إلى ازدهار الخطابة في العصر الإسلامي هو: ظهور رسالة المصطفى ﷺ التي أخرجت العالم من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى. فإن الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع الفتن وردع البدع، وتحميس الجند... كل ذلك من أغراض الخطابة. وكان لها من آيات القرآن الكريم وحججه معين لا ينضب ومدد لا ينفد^(٢)... والدليل على ذلك ما ذكره القرآن الكريم من أسلوب خطابي في بعض الأحيان على نمط لم يألّفوه فهو يقصد إلى التأثير والإقناع معا بطريقة أجبرته على أن يتتبعوا خطاه ويسيروا على منواله مثل ما قاله تعالى لبنى إسرائيل: ﴿يَبْنَئِي أُمَّتَهُمْ يَلْ أَدْكُرُوا فَيَعْبَىٰ إِلَيْهِمْ أَنَّمَتُ عَلَيْهِمْ وَأَوْتُوا يَهُودَ أُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنَّهُمْ لَفَارِغُونَ﴾^(٣).

﴿وَمَا أُمْنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرَوْا بِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قَلِيلًا وَإِنَّ فِتْنَةً لِّمَا فَتَنُوكُمْ بِالْبِطْلِ وَالْبُغْيِ وَالنَّكَاحِ وَالزَّوْجِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٤).

(١) سبيل الحكمة في الوعظ والخطابة للشيخ على محفوظ ص ٥٢ وما بعدها.

(٢) تاريخ الأدب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات - الطبعة السادسة.

(٣) سورة البقرة الآية ٤٠.

(٤) سورة البقرة الآيات ٤٣: ٤١.

إلى أن قال تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ تَأْمُرُوا بِالْكَفْرِ وَقَدْ كَانَكُمْ قَرِيبًا مَنِ تَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ تَعْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

فإذا التفتنا إلى هذه الآيات الكريمة نجد أن فيها الأسلوب الخطابى، ويشتمل على مقدمة للموضوع الذى يراد شرحه، ثم عرض لهذا الموضوع، وأخيرا الختام الذى يذكر أهم الحقائق التى لا بد منها للمدعو.

ليس ذلك فقط بل نجد القرآن الكريم يعلمهم فن القول. وهذا يتضح لنا فى خطابه المباشر لرسوله ﷺ، فقد خاطبه فى كثير من المواطن بقوله "قل" التى ذكرت فى القرآن الكريم ٣٣٢ مرة. مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (١)، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٢)، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٣)، ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (٤)، ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥)، ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٦).

٢- العامل الثانى الذى كان سببا فى تطور الخطابة فى الإسلام يظهر فى استجابة النبى ﷺ لمنهج الدعوة إلى الله تعالى، كما جاء فى القرآن الكريم حيث يقول تعالى لحبيبه ومصطفاه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٧).

وهذه الدعوة كثيرا ما تكون عن طريق الخطبة الدينية التى يقوم بها الداعية إلى الله تعالى الموفق فى أداء رسالته. ويكفى هذا الداعية فخرا وتبها ما قاله البارى تبارك وتعالى فى حقه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٨).

لذا لما قرأ الحسن البصرى هذه الآية الكريمة فقال: "هذا حبيب الله. هذا ولى الله. هذا صفوة الله. هذا خيرة الله. هذا أحب أهل الأرض إلى الله. أجاب الله فى

(٣) سورة يونس الآية ١٠٨.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٨.

(١) سورة البقرة الآية ٧٥.

(٦) سورة العنكبوت الآية ٥٠.

(٥) سورة النور الآية ٥٤.

(٤) سورة النمل الآية ٦٩.

(٩) سورة فصلت الآية ٣٣.

(٨) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٧) سورة الزمر الآية ٨.

دعوته. ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته. وعمل صالحا في إجابته. وقال إننى من المسلمين. هذا خليفة الله".^(١)

وهذا كله تمثل في شخص المصطفى ﷺ القدوة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾^(٢).

وبلغ من اقتداء الصحابة عليهم رضوان الله تعالى بالرسول في الخطبة أنهم كانوا يفتتحونها بالتحميد والتمجيد لله، والصلاة على رسول الله ﷺ، يطلقون على الخطبة التى لم تبدأ بذلك "البتراء".^(٣)

وسنرى هذا بوضوح في خطب النبي ﷺ والصحابة.. إن شاء الله فى الباب الأخير.

٣- الصراع بين الدعاة إلى الله تعالى وبين المعاندين من الكافرين وغيرهم، فكل منهم يريد أن يجذب الآخر نحوه عن طريق الإقناع والاستمالة. وهذا اعتمد إلى حد كبير على الخطابة.

وحتى نعرف مدى الإصرار الذى كان من المعاندين فى بقائهم على كفرهم، بل فى جذب المسلمين إليهم نذكر هذا الحوار بين الرسول ﷺ وبين عتبة ابن ربيعة الذى كلفه قومه ليعرض على الرسول ﷺ أمورا لعله يقبل بعضها وينصرف عن هذه الدعوة. فقال عتبة للنبي ﷺ: يا ابن أخى، إنك منا حيث قد علمت من البسطة فى العشيرة والمكان فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقته به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آياتهم، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنتظر فيها. لعلك تقبل منها بعضها.. فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع.

قال: يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان الذى يأتيك

(١) انظر: الحسن البصرى من عمالة الفكر والزهد والدعوة فى الإسلام - رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١.

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩٤ طبعة مصطفى الحلبي.

رئيا تراه لاتستطيع رده، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم قال: فاسمع مني، قال: افعل، فقال: ﴿حَمْرٌ * نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كَتَبْتُ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١)، وأخذ الرسول يقرأ حتى وصل إلى السجدة فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.

٤- الأفكار الجديدة التي عمل الإسلام على بثها بين المدعويين فتقبلها هؤلاء باهتمام بالغ، لأنها كانت تخريهم دائما وتأخذ بأيديهم إلى سبيل الرشاد.

وعلى سبيل المثال قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(٢)، فهذه دعوة من الله تعالى إلى عباده للتفكر في ملكوت الله عز وجل والتطلع إلى هذا الكون الفسيح.. حتى يصل الإنسان عن هذا الطريق إلى الإيمان الصادق والحياة الصحيحة التي يجب أن يحيها الإنسان.

٥- الاقتباس من القرآن الكريم..

يقول الجاحظ: "إن الخطبة إذا لم توشح بآيات من القرآن الكريم سميت "شوهاء"^(٣) ويقول أيضا: "كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحقل وفي الكلام يوم الجمع أي من القرآن، فإن ذلك ما يورث الكلام البهاء والوقار والرقعة وحسن الموقع"^(٤).

وفي آثار الصحابة - عليهم رضوان الله - الكثير من هذه الأمثلة مثل ما قاله أبو بكر الصديق ؓ في إحدى خطبه: "الحمد لله، أحمده وأسأعينه وأسأغفره وأؤمن به وأتوكل عليه، وأسأتهدي الله الهدى، وأعوذ به من الضلالة والتردي، من يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا، فأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حي لا يموت، يعز من يشاء ويذل من يشاء. بيده الخير وهو على كل شيء قدير..^(٥)

(٢) سورة الغاشية الآيات ١٧:٢٠.

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ١١٧.

(١) سورة فصلت الآيات ١:٣.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٦.

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ١٣١.

٦- من العوامل التي أدت إلى تطور الخطابة في الإسلام وعلوها مبدأ الحرية الصحيحة الذي أقره هذا الدين الجديد. ويتجلى هذا المعنى في أول خطبة خطبها أبو بكر الصديق عقب توليته للخلافة الإسلامية، حيث قال: "أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدوني. أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم".^(١)

من هذا القول لأبي بكر الصديق يتبين لنا أن الإسلام قد ترك حرية النقد البناء لإصلاح المجتمع، لا فرق في ذلك بين عظيم أو حقير.. مما حمل الكثير من الصحابة وغيرهم على أن ينطقوا بكلمة الحق. وبهذا ازدهرت الخطابة وأنت ثمارها.

٧- من العوامل كذلك التي أدت إلى تطور الخطابة في الإسلام مبدأ "الشورى" الذي دعا إليه هذا الدين الحنيف في ضوء ما قاله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَتِيمَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٣).

ومن ذلك قال أبو بكر الصديق يوم السقيفة: "أيها الناس: نحن المهاجرون، أول الناس إسلاماً، وأكرمهم حسباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ، أسلمنا قبلكم. وقد مننا في القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾^(٤)، فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار إلى أن قال: فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. لاتدين العرب إلا لهذا الحى من قريش. فلا تنفسوا^(٥) على إخوانكم ما منحكم الله من فضله".^(٦)

٨- ما حدث بين المسلمين بعد مقتل سيدنا عثمان ؓ من فتنة كادت تؤدي إلى ضياع وحدتهم واجتماع كلمتهم. لولا عناية الله تعالى بعباده المؤمنين. هذه الفتنة نشأ عنها الأحزاب والفرق المختلفة. مما حدا بكل واحد منهم يريد

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٠٣. (٢) سورة الشورى الآية ٣٨. (٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩.
 (٤) سورة التوبة الآية ١٠٠. (٥) تنفسوا: نفس عليه بخير (كفرج) حسده ونفس عليه الشيء نفاسه لم يرها له.
 (٦) تاريخ الطبرى ج ٢، عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٤.

أن يؤيد وجهة نظره، فلم يجد سوى الخطابة وسيلة يصل بها إلى غرضه، وقد امتلأت كتب الأدب والتاريخ والفرق بالكثير من هذه الخطب المتنوعة.

وعلى سبيل المثال حينما شخص الإمام على - كرم الله وجهه - من المدينة إلى البصرة، وخطب في أتباعه، فحمد الله وصلى على النبي وذكر الجاهلية وشقائها والإسلام والسعادة، وإنعام الله على الأمة بالجماعة، وذكر أن ما حدث جره على الأمة قوم طلبوا هذه الدنيا، " وحسدوا من أفاءها الله عليه وأرادوا رد الأشياء على أدبارها"^(١). وقال ﷺ: "سيروا إلى أعداء الله والسنن، سيروا إلى بقية الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار، إن الله أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته فانصبوا نفوسكم في أداء حقه... إلخ"^(٢).

وقال معاوية بن أبي سفيان ﷺ: "أيها الناس، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم. إن الجنة لا يرحل من أوطنها ولا يهرم من سكنها، ولا يموت من دخلها، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها، ولا تنصرم همومها، وكونوا قوما مستبصرين في دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم.. إلخ"^(٣).

٩- ما قدمه الإسلام من الحث على الزهد الصحيح وغير ذلك من الأفكار المختلفة التي عالجها هذا الدين الحنيف.

كل ذلك كان بوسيلة الخطبة التي ازدهرت بسبب هذه الصراعات المختلفة.

• أهم خصائص الخطابة في الإسلام:

بعد هذا العرض الموجز لتطور الخطابة في الإسلام يجدر بنا أن نتعرض لأهم الخصائص التي امتازت بها الخطابة في رسالة المصطفى - عليه الصلاة والسلام- ونوجزها فيما يلي:

أولاً: طول الخطبة غالباً بخلاف العصر الجاهلي، فقد كانت الخطبة فيه قصيرة.

ثانياً: تقسيم الخطبة إلى مقدمة وعرض للموضوع وخاتمة.

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٨.

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٦، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٨.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ١١٠.

ثالثاً: عرض الخطبة قائم على الترتيب المنطقي الصحيح الذي يعتمد على استخلاص النتائج من مقدماتها.

رابعاً: الأفكار المتجددة في الخطابة الإسلامية.

خامساً: تدعيم الخطبة بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث للنبي ﷺ وآثار السلف الصالح - عليهم رضوان الله تعالى -.

وسنرى فيما يلي نماذج متنوعة من الخطب الإسلامية الأصيلة التي يجب أن نسير على منوالها ونهتدى بهداها، وفي مقدمة هذه الخطب أول خطبة للنبي ﷺ في المسجد بعد أن هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.. والله الموفق.

* * *

الباب الثاني

أشهر خطب الرسول ﷺ

أول خطبة أحمد ﷺ

أخرج البيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنهما- قال: كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس! فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن^(١) أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولى فبلغك وأتيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمره فليفعل! ومن لم يجد فبكلمة طيبة! فإن بها تجزى الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته.

ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال: إن الحمد لله أحمدوه وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينته الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله! أحبوا الله من كل قلوبكم! ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم! فإنه من يختار الله ويصطفى فقد سماه خيرته من الأعمال وخيرته من العباد والصالح من الحديث ومن كل ما أوتى الناس من الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته! وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم! وتحابوا بروح الله بينكم! إن الله يغضب أن ينكث^(٢) عهده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وهذه الطريق مرسله. كذا في البداية (ج ٣ ص ٢١٤) وقد أخرج ابن عساکر عن أنس ؓ أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بألفاظ أخرى مختصرا كما تقدم.

(١) الصعق أن يفتش الإنسان من صوت شديد يسمعه وربما مات منه ثم استعمل في الموت كثيرا.

(٢) أن ينقض.

خطبته ﷺ في الجمعة

• أخرج ابن جرير (ج ٢ ص ١١٥) عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة رسول الله ﷺ في أول جمعة صلاها بالمدينة في بنى سالم ابن عوف: الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره وأعدى من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل، من طبع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا.

وأوصيكم بتقوى الله! فإنه خير ما أوصى به المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه! ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرا، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة.

ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما أقدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد، والذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك! فإنه يقول عز وجل: ﴿مَا يَدَّبُّ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(١)، فانتقوا الله في عاجل أمركم وأجله في السر والعلانية! فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا، ومن يتقى الله فقد فاز فوزا عظيما، وإن تقوى الله يوقى مقته^(٢) ويوقى عقوبته ويوقى سخطه^(٣)، وإن تقوى الله يبيض الوجه ويرضى الرب ويرفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا^(٤) في جنب الله! قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله.

(٢) المقت في الأصل أشد البغض.

(٤) لا تقصروا.

(١) سورة ق الآية ٢٩.

(٣) الكراهية للشيء وعدم الرضا به.

فأكثرُوا ذكر الله وأعلموا لما بعد اليوم^(١)! فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم. قال فى البداية (ج ٣ ص ٢١٣) هكذا أوردها ابن جرير وفى السند إرسال - انتهى. وذكره أيضا القرطبي فى تفسيره (ج ١٨ ص ٩٨) بنحوه مطولا بلا إسناد.

خطبه ﷺ فى الغزوات

• أخرج الطبرانى والبزار عن حرار رضي الله عنه رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ فلقينا عدونا فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس! إنكم قد أصبحتم بين أخضر وأصفر وأحمر وفى الرجال ما فيها، فإذا لقيتم عدوكم فقدموا قدما! فإنه ليس أحد يحمل فى سبيل الله إلا ابتدرت إليه ثنتان من الحور العين، فإذا استشهد فإن أول قطرة تقع إلى الأرض من دمه يكفر الله عز وجل عنه كل ذنب، ويمسحان^(٢) الغبار عن وجهه يقولان قد أنى^(٣) لك، ويقول: قد أنى لكما. قال الهيثمى (ج ٥ ص ٢٧٥): وفيه العباس بن الفضل الأنصارى وهو ضعيف.

• وأخرج الطبرانى عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر فى غزوة تبوك قام فخطب الناس فقال: يا أيها الناس! لا تسألوا نبيكم عن الآيات! هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم ناقة ففعل فكانت ترد من هذا الفج^(٤) فتشرب ماءهم يوم وردوا ويحلبون من لبنها مثل الذى كانوا يصيبون من غيبها^(٥) ثم تصدر من هذا الفج فعقروها^(٦)، فأحلهم الله ثلاثة أيام - وكان وعد الله غير مكذوب - ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان منهم بين السماء والأرض إلا رجلا كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله؛ قيل: يا رسول الله! من هو؟ قال: أبو رغال. قال الهيثمى (ج ٧ ص ٣٨): رواه الطبرانى

(١) وبهامش الأصل: وفى البداية عن ابن جرير "لما بعد الموت" وهكذا هو فى تفسير القرطبي - أ هـ.

(٢) كذا فى الأصل، والظاهر "تمسحان" وكذلك "تقولان". (٣) بهامش مجمع الزوائد، "أى أن، وفى الأصل: "أنا".

(٤) للطريق الواسع.

(٥) الغب من أوراد الإبل أن ترد للماء يوما وتدعه يوما ثم تعود.

(٦) أى نحروها، وأصل العقير ضرب قوائم للبحير أو الشاة بالسيف وهو قائم.

فى الأوسط والبزار وأحمد بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح- انتهى.

• وأخرج الطبرانى فى الكبير عن الحسن بن على - رضى الله عنهما- قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر يوم غزوة تبوك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس! أنى ما أمركم إلا بما أمركم الله ولا أنهاكم إلا عما نهاكم الله عنه، فأجملوا فى الطلب! فوالذى نفس أبى القاسم بيده! إن أحدكم ليطلبه رزقه كما يطلبه أجله، فإن تعسر عليكم شىء منه فاطلبوه بطاعة الله عز وجل؛ كذا فى الترغيب (ج ٢ ص ٩٦).

• وأخرج الطبرانى عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما- قال: لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال: كفوا السلاح إلا خزاعة من بنى بكر! فأذن لهم حتى صلى العصر ثم قال: كفوا السلاح! فلقى رجل من خزاعة رجلاً من بنى بكر من غد بالمزدلفة فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال: ورأيتوه وهو مسند ظهره إلى الكعبة- إن أعدى الناس على الله من قتل فى الحرم أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول^(١) الجاهلية، فقام رجل فقال: إن فلاناً ابنى، فقال رسول الله ﷺ لا دعوة فى الإسلام، ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراس وللعاهر^(٢) الأثلب؛ قالوا: وما الأثلب؟ قال: الحجر، وقال: لا صلاة بعد الغداة حتى تطلع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، قال: ولا تتكح المرأة على عمتها ولا على خالتها. قال الهيثمى (ج ٦ ص ١٧٨): رجاله ثقات، وفى الصحيح منه النهى عن الصلاة بعد الصبح وفى السنن بعضه- انتهى.

• وأخرج ابن ماجه عن ابن عمر - رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قام يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة فحمد الله وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذى صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا! أن قتيل الخطأ قتيل السوط والعصا، فيه مائة من الإبل منها أربعون خلفه^(٣) فى بطونها أولادها، ألا! أن كل مآثرة كانت فى الجاهلية ودم تحت قدمى هاتين إلا ما كان من سدانة^(٤) البيت وسقاية الحاج ألا! أنى قد أمضيتهما لأهلها كما كانا. وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عمر - رضى الله عنهما- قال: طاف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن^(٥) فى يده فما وجد لها

(١) جمع نحل الوتر وطلب المكافأة بجناية جنيت عليه من قتل أو جرح ونحو ذلك، والنحل العداوة أيضاً.

(٢) أى الزانى.

(٣) الحامل من النوق.

(٤) المحجن عصا معققة الرأس كالصولجان.

(٥) أى خدمة البيت.

مناخا في المسجد حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت، ثم إن رسول الله ﷺ خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: يا أيها الناس! إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها، فالناس رجالان: رجل يرتقى كريم على الله تعالى، ورجل فاجر شقى هين على الله تعالى، إن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١). ثم قال ﷺ: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. وهكذا رواه عبد بن حميد، كما في التفسير لابن كثير (ج ٤ ص ٢١٨).

خطبه ﷺ لشهر رمضان

• أخرج ابن خزيمة عن سلمان ؓ قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان قال: يا أيها الناس! قد أظلمكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء؛ قالوا: يا رسول الله! ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله ﷺ: يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة (٢) لبن، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار؛ واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعودون به من النار، ومن سقى صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظما حتى يدخل الجنة. قال المنذرى قى

(٢) شربة من اللبن المذوق.

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

الترغيب (ج ٢ ص ٢١٨): رواه ابن خزيمة في صحيحه ثم قال: صح الخبر، ورواه من طريق البيهقي ورواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب باختصار عنهما - انتهى. وأخرجه أيضا ابن النجار بطوله، كما في الكنز (ج ٤ ص ٣٢٣).

• وأخرج ابن النجار عن أنس رضي الله عنه قال: لما قرب رمضان خطبنا رسول الله ﷺ عند صلاة المغرب خطبة خفيفة فقال: استقبلكم رمضان واستقبلتموه، ألا! وإنه لا يبقى أحد من أهل القبلة إلا غفر له أول ليلة من رمضان، كذا في الكنز (ج ٤ ص ٣٢٥).

• وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن علي رضي الله عنه قال: لما كانت أول ليلة من رمضان قام رسول الله ﷺ وأثنى على الله تعالى وقال: يا أيها الناس! قد كفاكم الله تعالى عدوكم من الجن ووعدكم الإجابة وقال: ﴿أَدْعُوهُ اسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١). ألا! وقد وكل الله عز وجل بكل شيطان مرید سبعة من الملائكة فليس بمحلول حتى ينقضى شهر رمضان، ألا! وأبواب السماء مفتحة من أول ليلة منه إلى آخر ليلة منه، والدعاء فيه مقبول؛ حتى إذا كان أول ليلة من العشر شمر المنزر وخرج من بينهن واعتكف وأحيا الليل، قيل: وما شد المنزر؟ قال: كان يعتزل النساء فيهن، كذا في الكنز (ج ٤ ص ٣٢٣).

خطبته ﷺ في تأكيد صلاة الجمعة

• أخرج ابن ماجه ص ١٧٢ عن جابر رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس! توبوا إلى الله قبل أن تموتوا! وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا! وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية تزرقوا وتتصروا وتجبروا! واعلموا أن الله قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في يومي هذا في شهرى هذا من عامى هذا إلى يوم القيامة! فمن تركها في حياتي - أو بعدى - وله إمام عادل أو جائر استخفاها بها وجحودا بها فلا جمع الله له شمله ولا برك له في أمره، ألا! ولا صلاة له ولا زكاة له ولا حج له ولا صوم له ولا بر له حتى يتوب، فمن تاب، تاب الله عليه، ألا! لا تؤمن امرأة رجلا، ولا يؤم أعرابي مهاجرا، ولا يؤم فاجر مؤمنا إلا أن

(١) سورة غافر الآية ٦٠.

يقهره بسُلطان يخاف سيفه وسوطه. قال المنذرى فى الترغيب (ج ٢ ص ٣١):
 ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد الخدرى أخصر منه ورواه
 أبو يعلى بإسنادين عن جابر بن عبد الله قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً يوم
 الجمعة فقال: عسى رجل تحضره الجمعة وهو على قدر ميل من المدينة
 فلا يحضر الجمعة، ثم قال فى الثانية: عسى رجل تحضره الجمعة وهو على
 قدر ميلين من المدينة فلا يحضرها، وقال فى الثالثة: عسى يكون على قدر ثلاثة
 أميال من المدينة فلا يحضر الجمعة ويطبع الله على قلبه.

خطبه ﷺ فى الحج

• أخرج الحاكم (ج ١ ص ٩٣) عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول
 الله ﷺ خطب الناس فى حجة الوداع فقال: قد ينس الشيطان بأن يعبد بأرضكم
 ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا
 يا أيها الناس! إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم^(١) به قلن تضلوا أبداً كتاب الله
 وسنة نبيه ﷺ، إن كل مسلم أخ المسلم، المسلمون أخوة ولا يحل لامرئ من مال
 أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، ولا تظلموا ولا ترجعوا من بعدى كفارا
 يضرب بعضهم رقاب بعض. قال الحاكم (ج ١ ص ٩٣): قد احتج البخارى
 بأحاديث عكرمة واحتج مسلم بأبى أويس وسائر رواته متفق عليهم وهذا الحديث
 لخطبة النبى ﷺ متفق على إخرجه فى الصحيح: يا أيها الناس! إنى قد تركت
 فيكم مالن تضلوا بعده إن اعتصمتم به - كتاب الله، وأنتم مسؤولون عنى فما أنتم
 قائلون. وذكر الاعتصام بالسنة فى هذه الخطبة غريب ويحتاج إليها.
 ووافقه الذهبى.

وأخرج الطبرانى وأبو بكر الخفاف فى معجمه وابن النجار عن ابن عباس
 قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى مسجد الخيف فحمد الله ونكره بما هو أهله ثم
 قال: من كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه بين عينيه وأتته الدنيا
 وهى راغمة^(٢)، ومن كانت الدنيا همه فرق الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم
 يأتها من الدنيا إلا ما كتب له؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٠٢).

(٢) ذليلة.

(١) تمسكتم.

• وأخرج ابن النجار عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: خطبنا رسول الله ﷺ في مسجد الخيف بمنى فقال: نضر الله عبدا سمع مقالتي فعمد بها يحدث بها أخاه! ثلاثة لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة^(١) الأمر، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٢٨).

• وأخرج مسلم عن جابر فذكر الحديث بطوله في صفة الحج وفيه: فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا! كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، ورباء الجاهلية موضوعة وأول ربا أضعه من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، واتقوا الله في النساء! فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح^(٢)، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد! اللهم اشهد - ثلاث مرات؛ كذا في البداية (ج ٥ ص ١٤٨). وأخرجه أيضا أبو داود وابن ماجه، كما في الكنز (ج ٣ ص ٢٣).

• وأخرج البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: يا أيها الناس! أى يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: فأى بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فأى شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، قال: فأعادها مرارا ثم رفع رأسه فقال: اللهم! هل بلغت؟ اللهم! قد بلغت - قال ابن عباس: فوالذى نفسى بيده! إنها لو صيته إلى أمته - فليبلغ الشاهد

(٢) أى غير شاق.

(١) جمع وال.

الغائب! لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض؛ كذا في البداية ج ٥ ص ١٩٤. وأخرجه أيضا أحمد وابن أبي شيبة عنه وابن ماجه عن ابن عمر - رضى الله عنهما - والطبرانى عن عمار ؓ، وأحمد والبخارى عن أبي غادية ؓ، كما فى الكنز (ج ٣ ص ٢٥).

• وأخرج أحمد عن جرير ؓ قال: قال رسول الله: استنصت الناس! ثم قال عند ذلك: لا أعرفن بعد ما أرى ترجعون كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. وفى رواية أخرى عنه قال فى حجة الوداع: يا جرير! استنصت الناس - فذكر نحوه، كما فى البداية (ج ٥ ص ١٩٧).

• وأخرج مسلم عن أم الحصين - رضى الله عنها - قالت: حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع فرأيت أسامة وبلاالا - رضى الله عنهما - أحدهما أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ ، والآخر رافع ثوبه يستتره من الحر حتى رمى جمرة العقبة قالت: فقال رسول الله: قولوا كثيرا ثم سمعته يقول: إن أمر عليكم عبد مجدع^(١) - حسبتها قالت: أسود - يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا؛ كذا فى البداية (ج ٥ ص ١٩٦). وأخرجه النسائى أيضا بنحوه، كما فى الكنز ج ٣ ص ٦٢ وابن سعد (ج ٢ ص ١٨٤) نحوه.

• وأخرج أحمد عن أبى أمامة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى خطبته عام حجة الوداع: إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث، والولد للفراس وللعاهر الحجر وحسابهم على الله، ومن أدعى إلى غير أبيه أو انتمى^(٢) إلى غير مواليه فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة، لا تنفق امرأة من بيتها إلا بإذن زوجها! فقيل: يا رسول الله! ولا الطعام؟ قال: ذاك أفضل أموالنا، ثم قال رسول الله ﷺ: العارية مؤداة، والمنحة^(٣) مردودة، والدين مقضى، والزعيم غارم. ورواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذى: حسن.

وعند أبى داود عن أبى أمامة قال : سمعت خطبة رسول الله ﷺ بمنى يوم

(١) مقطع الأعضاء.

(٢) لتتسب.

(٣) المنحة أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بلبنها ويعيدها.

النحر. وعند أحمد أيضا عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يومئذ على الجداء^(١) واضع رجله في الغرز^(٢) يتناول ليعلم الناس فقال بأعلى صوته: ألا تسمعون؟ فقال رجل من طوائف الناس: يا رسول الله: ماذا تعهد إلينا فقال: اعبدوا ربكم. وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا إذا أمرتم؛ تدخلوا جنة ربكم. وأخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح، كذا في البداية (ج ٥ ص ١٩٨).

• وأخرج أبو داود عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع السباحتين ثم قال: حصي الخذف، ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد وأمر الأنصار فنزلوا من وراء المسجد ثم نزل الناس بعد ذلك. وأخرجه ابن سعد (ج ٢ ص ١٨٥) وأحمد والنسائي كذلك وعند أبي داود أيضا عن رافع بن عمرو المزني ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء^(٣) وعلى بعير عنه والناس بين قائم وقاعد؛ كذا في البداية (ج ٥ ص ١٩٨).

• وأخرج أحمد عن أبي حرة الرقاشي عن عمه ﷺ قال: كنت آخذا بزمام ناقة رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق إذ ودعته الناس فقال: يا أيها الناس! أتدرون في أي شهر أنتم؟ وفي أي يوم أنتم؟ وفي أي بلد أنتم؟ قالوا: في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى أن تلقونه، ثم قال: اسمعوا مني تعيشوا! ألا لا تظلموا! ألا لا تظلموا! ألا لا تظلموا! إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه، ألا! إن كل دم ومال ومأثرة^(٤) كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة، وإن أول دم يوضع ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، ألا! أن كل ربا في الجاهلية موضوع وإن الله قضى أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، ألا! وإن الزمان قد

(١) المقطوعة الأذن وقيل لم تكن ناقته مقطوعة الأذن وإنما كان هذا اسما لها.

(٢) ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب وقيل هو الكور مطلقا مثل الركاب للسرور.

(٣) كان لونها الشهباء وهي بياض يتخلله سواد.

(٤) مكرومة ومفخرة.

استدار كهينته يوم خلق الله السماوات والأرض ثم قرأ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَمِمْ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾^(١). ألا! لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض! ألا! إن الشيطان قد ينس أن يعبد المصلون ولكنه فى التحريش بينكم، واتقوا الله فى النساء! فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإن لهن عليكم حقا ولكم عليهن حق أن لا يوطنن فرشكم أحد غيركم ولا يأذن فى بيوتكم لأحد تكرهونه، فإن خفتن نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ألا: ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها! وبسط يده وقال: ألا! هل بلغت؟ ثم قال: ليبلغ الشاهد الغائب! فإنه رب مبلغ أسعد من سامع. قال حميد: قال الحسن حين بلغ هذه الكلمة: قد والله بلغوا أقواما كانوا أسعد به.

• وأخرجه البزار عن ابن عمر - رضى الله عنهما - بمعناه وزاد فى أوله قال: نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ بمنى وهو فى أوسط أيام التشريق فى حجة الوداع ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٢). فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء^(٣) فرحلت له ثم ركب فوقف للناس بالعقبة فاجتمع إليه ما شاء الله من المسلمين، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس! فإن كل دم كان فى الجاهلية فهو هدر - فذكر الحديث وفيه: أيها الناس! إن الشيطان قد ينس أن يعبد ببلادكم آخر الزمان، وقد يرضى عنكم بمحقرات الأعمال فاحذروه على دينكم بمحقرات الأعمال. وزاد: أيها الناس! إنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله فاعملوا به. وفى آخره: ألا! ليبلغ شاهدكم غائبكم، لا نبى بعدى ولا أمة بعدكم، ثم رفع يديه فقال: اللهم اشهد. وقد ذكر حديث ابن عمر هذا بطوله فى البداية (ج ٥ ص ٢٠٢).

(٢) سورة النصر الآية ١.

(١) سورة التوبة الآية ٣٦.

(٣) الناقة التى قطع طرف أنفها ولم تكن ناقة النبى ﷺ قصواء، وإنما كان هذا لقباً لها وقيل كانت مقطوعة الأذن.

وأخرج حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه البغوي والماوردي وابن مردويه أيضا بطوله، كما في الكنز (ج ٣ ص ٢٦).

• وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: يا أيها الناس! إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا! لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم؛ ألا! هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: فليبلغ الشاهد الغائب. قال البيهقي: في إسناده بعض من يجهل، كذا في الترغيب (ج ٤ ص ٣٩٢).

• وأخرج ابن ماجه ص ٥٦٥ عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ وهو على ناقته المخضرمة بعرفات فقال: أتدرون أي يوم هذا وأي شهر هذا وأي بلد هذا؟ قالوا: هذا بلد حرام وشهر حرام ويوم حرام، قال: ألا! وإن أموالكم ودماءكم عليكم حرام كحرمة شهركم هذا في بلدكم هذا في يومكم هذا، ألا! وإني فرطكم على الحوض وأكاثركم بكم الأمم فلا تسودوا وجهي، ألا! وإني مستنقذ أناسا ومستنقذ مني أناس فأقول: يا رب: أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. قال ابن ماجه: هذا الحديث غريب. وأخرجه أحمد أيضا نحوه، كما في الكنز (ج ٣ ص ٢٥).

خطبه ﷺ في الدجال ومسيلمة

وبأجوج وماجوج وانخسف

• أخرج أحمد عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: كنا نتحدث بحجة الوداع وما ندري أنه الوداع من رسول الله ﷺ، فلما كان في حجة الوداع خطب رسول الله ﷺ فذكر المسيح الدجال فأطنب^(١) في ذكره، ثم قال: ما بعث الله تبارك وتعالى من نبي إلا وقد أنذره أمته، لقد أنذره نوح - عليه السلام - والنبيون - صلى الله عليهم - من بعده إلا ما خفى عليكم من شأنه، لا يخفون عليكم إن ربكم تبارك وتعالى ليس بأعور. قال الهيثمي (ج ٧ ص ٣٣٨): رجاله رجال الصحيح وفي الصحيح بعضه.

(١) بالغ.

• وأخرج أحمد والطبراني - واللفظ له - عن سفينة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: إنه لم يكن نبي قبلي إلا حذر أمته الدجال وهو أعور عينه اليسرى، بعينه اليمنى ظفرة^(١) غليظة، مكتوب بين عينيه: كافر، يخرج معه واديان: أحدهما جنة والآخر نار، فجنته نار وناره جنة، معه ملكان من الملائكة يشبهان بنبيين من الأنبياء: أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وذلك فتنة الناس، يقول: ألسنت بربكم أحيى وأميت؟ فيقول أحد الملكين: كذبت، فما يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه فيقول له: صدقت، ويسمعه فيحسبون أنه صدق الدجال، وذلك فتنة، ثم يسير حتى يأتي المدينة ولا يؤذن له فيها ثم يقول: هذه قرية ذاك الرجل، ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عز وجل عند عقبة أفيق. قال الهيثمي (ج ٧ ص ٣٤٠): رجاله ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر .

• وأخرج أحمد عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يذكر عن الدجال! قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أنذركم الدجال - ثلاثاً! فإنه لم يكن نبي إلا أنذره، وإنه فيكم أيتها الأمة، وإنه جعد آدم ممسوح العين اليسرى، معه جنة ونار، ومعه جبال من خبز ونهر من ماء وإنه يمطر المطر ولا ينبت الشجر، وإنه يسلط على نفس فيقتلها ولا يسلط على غيرها، وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحاً يبلغ كل منهل، لا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد الطور ومسجد الأقصى، وما شبه عليكم فإن ربكم عز وجل ليس بأعور. قال الهيثمي (ج ٧ ص ٣٤٣): رجاله رجال الصحيح .

• وأخرج الحاكم (ج ٤ ص ٥٣٦) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوماً فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: إن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وإنى آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدى فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام

(١) لحمة تثبت عند المآق وقد تمتد إلى السواد فتعشيه.

فعاث^(١) يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا! فإنه يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدى، ثم يثني حتى يقول: أنا ربكم، وإنكم لم تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه مكتوب بين عينيه: كافر، يقرأه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليقل في وجهه وليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف! وإنه يسلط على نفس من بنى آدم فيقتلها ثم يحييها وإنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها، وإن من فتنته أن معه جنة ونارا، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلى بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار بردا وسلاما على إبراهيم، وإن من فتنته أن يمر على الحى فيؤمنون به ويصدقونه فيدعو لهم فتمطر السماء عليهم من يومهم وتخصب لهم الأرض من يومها وتروح عليهم ماشيتهم من يومها أعظم ما كانت وأسمه وأمه خواصر^(٢) وأدره ضروعا، ويمر على الحى فيكفرون به ويكذبونه فيدعو عليهم فلا يصبح لهم سارح يسرح، وإن أيامه أربعون فيوم كسنة ويوم كشهرا ويوم كجمعة ويوم كالأيام وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر، قالوا: كيف نصلى يا رسول الله فى تلك الأيام القصار؟ قال: تقدرون فيها ثم تصلون كما تقدرون فى الأيام الطوال. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبى.

• وأخرج أبو يعلى عن جابر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر فقال: يا أيها الناس! إنى لم أجمعكم لخير جاء من السماء - فذكر حديث الجساسة وزاد فيه: هو المسيح تطوى له الأرض فى أربعين يوما إلا ما كان من طيبة، قال رسول الله ﷺ: وطيبة المدينة، ما من باب من أبوابها إلا عليه ملك مصلت^(٣) سيفه يمنع، وبمكة مثل ذلك. قال الهيثمى (ج ٧ ص ٣٤٦): رواه أبو يعلى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح .

• وأخرج أحمد عن ثعلبة بن عباد العبدى من أهل البصرة قال: شهدت يوما خطبة سمرة بن جندب رضي الله عنه فذكر فى خطبته حديثا عن رسول الله ﷺ، قلت: فذكر حديث كسوف الشمس حتى قال: فوافق تجلى الشمس جلوسه فى الركعة الثانية،

(١) اسم فاعل من العياث وهو الفساد أى لا يكتفى بالإفساد فيما يظاه من البلاد بل يبعث سراياه يميناً وشمالاً.

(٢) جمع خاصرة ومدها كناية عن الامتلاء.

(٣) من أصلت السيف أى جرده من غمده.

قال زهير: حسبته قال: فسلم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وشهد أنه عبد الله ورسوله ثم قال: يا أيها الناس! أنشدكم الله إن كنتم تعلمون أني قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي عز وجل لما أخبرتموني ذلك، قال: فقام رجال فقالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك وقضيت الذي عليك ثم قال: أما بعد فإن رجالا يزعمون أن كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض، وإنهم كذبوا ولكنها آيات من آيات الله عز وجل يختبر بها عباده فينظر من يحدث له منهم توبة، وإنى والله لقد رأيت منذ قمت أصلى ما أنتم لاقوه من أمر دنياكم وآخرتكم! وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى كأنها عين أبي يحيى - لشيخ حينئذ من الأنصار بينه وبين حجرة عائشة - رضى الله عنها - وإنه متى يخرج - أو قال: فإنه متى ما يخرج - فإنه يزعم أنه الله، فمن آمن به وصدقه واتبعه لم ينفعه صالح من عمله سلف، ومن كفر به وكذبه لم يعاقب بشيء من عمله سلف، وإنه سوف يظهر - أو قال: يظهر - على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وإنه يحصر المؤمنون في بيت المقدس فيزلزلون زلزالا شديدا ثم يهلكه الله تبارك وتعالى حتى إن جذم الحائط - أو قال: أصل الحائط، وقال حسن الأشيب: أو أصل الشجرة - لينادى - أو قال: يقول - يا مؤمن - أو قال: يا مسلم - هذا يهودى - أو قال: هذا كافر - تعال فاقتله! قال: ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أمورا يتفاقم^(١) شأنها في أنفسكم وتسالون بينكم: هل كان نبيكم ذكر لكم من هذا ذكرا؟ وحتى تزول جبال عن مراتبها، قال: ثم على أثر ذلك القبض، قال: ثم شهدت خطبة لسمرة ذكر فيها هذا الحديث ما قدم كلمة ولا آخرها عن موضعها. قال الهيثمي (ج ٧ ص ٣٤١): رواه أحمد والبخاري وبعضه وقال فيه: فمن اعتصم بالله فقال: ربي الله حى لا يموت، فلا عذاب عليه، ومن قال: أنت ربي، فقد فتن. ورجال أحمد رجال الصحيح غير ثعلبة بن عباد وثقه ابن حبان.

• وأخرج أحمد والطبراني عن أبي بكرة ؓ قال: أكثر الناس فى شأن مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئا فقام رسول الله ﷺ خطيبا فقال: أما بعد! ففى شأن هذا الرجل الذى قد أكثرتم فيه وإنه كذاب من ثلاثين كذابا

(١) أى يعظم.

يخرجون بين يدي الساعة، وإنه ليس من بلد إلا يبلغها رعب المسيح قال الهيثمي (ج ٧ ص ٣٣٢): أحد أسانيد أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح انتهى وأخرجه الحاكم (ج ٤ ص ٥٤١) عن أبي بكره نحوه وزاد: إلا المدينة على كل نقب^(١) من أنقابها يومئذ ملكان يذبان عنها رعب المسيح.

• وأخرج أحمد والطبراني عن ابن حرمة وهو خالد بن عبد الله بن حرمة عن خالته قال: خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب^(٢) رأسه من لدغة^(٣) عقرب فقال: إنكم تقولون: لا عدو، وإنكم لن تزالوا تقاتلون حتى يأتي أجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف^(٤) ومن كل حدب^(٥) ينسلون^(٦) كأن وجوههم المجان^(٧) المطرقة. قال الهيثمي (ج ٨ ص ٦): رجالهما رجال الصحيح.

• وأخرج أحمد والطبراني عن بقيقة امرأة القعقاع قالت: إنني لجالسة في صفة النساء فسمعت رسول الله ﷺ يخطب وهو يشير بيده اليسرى قال: أيها الناس! إذا سمعتم بخسف هنا فقد حلت الساعة. قال الهيثمي (ج ٨ ص ٩) وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقيقة رجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح.

خطبته ﷺ في ذم الغيبة

• أخرج أبو يعلى عن البراء^(١) قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها - أو قال: في خدورها - فقال: يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم! فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته. قال الهيثمي (ج ٨ ص ٩٣): رجاله ثقات.

• وأخرجه الطبراني عن ابن عباس - رضى الله عنهما - نحوه إلا أن في روايته: لا تؤذوا المؤمنين ولا تتبعوا عوراتهم! فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم هناك الله ستره. قال الهيثمي (ج ٨ ص ٩٤): رجاله ثقات وأخرجه البيهقي عن البراء نحوه كما في الكنز (ج ٨ ص ٣٠٠).

(٣) أي لسعة.

(٢) من عصب أي شد.

(١) الطريق بين الجبلين.

(٥) أي من غليظ الأرض ومرتعها.

(٤) أي صهب الشعور.

(٧) جمع مجن وهو الترس، والمطرقة التي ألبست العقب شينا فوق شيء.

(٦) يظهرون.

خطبته ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

• أخرج ابن ماجه وابن حبان عن عائشة - رضى الله عنها- قالت: دخل على النبي ﷺ فعرفت في وجهه أن قد حضره شيء فتوضأ وما كلم أحدا فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول، ففعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس! إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم وتسالوني فلا أعطيكم وتستصروني فلا أنصركم، فما زاد عليهن حتى نزل، كذا في الترغيب (ج ٤؛ ص ١٢). وأخرجه أحمد والبخاري بنحوه كما في المجمع (ج ٧ ص ٢٦٦).

خطبته ﷺ في التحذير عن سبى الأخلاق

• أخرج الحاكم وصححه على شرط مسلم - واللفظ له- وأبو داود مختصرا عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما- قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: إياكم والظلم! فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش والتفحش! وإياكم والشح! فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا، فقام رجل فقال: يا رسول الله! أى الإسلام أفضل؟ قال: أن يسلم المسلمون من لسانك ويديك، فقال ذلك الرجل أو غيره: يا رسول الله! أى الهجرة أفضل؟ قال: أن تهجر ما كره ربك، والهجرة هجرتان: هجرة الحاضر وهجرة البادى، فهجرة البادى أن يجيب إذا دعى ويطيع إذا أمر، وهجرة الحاضر أعظمها بلية وأفضلها أجرا، كذا في الترغيب (ج ٤ ص ١٥٨). وأخرجه الطبراني عن الهرماس بن زياد مختصرا، كما في الترغيب (ج ٣ ص ٤٦٧) وزاد في أوله: وإياكم والخيانة! فإنها بنست البطانة.

خطبته ﷺ في التحذير عن الكبائر

• أخرج أحمد والترمذى - وقال: غريب- والبيهقي وابن قانع وأبو نعيم عن أيمن بن خريم قال: قام رسول الله ﷺ خطيبا فقال: يا أيها الناس! عدلت

خطبته ﷺ في خير العيش

• أخرج العسكري عن علي ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: لا خير في العيش إلا لمستمع واع أو عالم ناطق، أيها الناس! إنكم في زمان هدنة وإن السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتیان بكل موعود فأعدوا الجهاد لبعث المضمار! فقال المقداد ﷺ: يا نبي الله! ما الهدنة؟ قال: بلاء وانقطاع، فإذا التبتت الأمور عليكم كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن! فإنه شافع مشفع وماحل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه قاده إلى النار، وهو الدليل إلى خير سبيل، وهو الفصل ليس بالهزل، له ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، عميق بحره لا تحصى عجائبه ولا يشبع منه علماءه، وهو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم وهو الحق الذي لا يعنى^(١) الجن إذ سمعته أن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾^(٢) من قال [به-]^(٣) صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن عمل به هدى إلى صراط مستقيم، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودال على الحجة؛ كذا في الكنز (ج ١ ص ٢١٨).

خطبته ﷺ في الرغبة عن الدنيا

• أخرج أبو نعيم في الحلية (ج ٣ ص ٢٠٢) عن الحسين بن علي - رضي الله عنهما - قال: رأيت رسول الله ﷺ قام خطيباً على أصحابه فقال: أيها الناس! كان الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب، وكان الذي يشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نأكل تراثهم كأننا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل واعظة وأما كل جائحة^(٤)، طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس! طوبى لمن طاب مكسبه وصلحت سريرته وحسنت علانيته واستقامت طريقته! طوبى لمن تواضع لله من غير منقصة وأنفق مما جمعه من

(١) كذا في الأصل وبهامش للكنز ج ٢ ص ١٨٦ الطبعة الثانية كذا في الأصول، ولعله لم تفتأ.

(٢) سورة الجن الآيات ١-٢.

(٣) زيد من الكنز الجديد.

(٤) مصيبة عظيمة.

غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل الذل والمسكنة! وطوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدل عنها إلى بدعة، ثم نزل. قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث العترة الطيبة لم نسمعه إلا من القاضي الحافظ وروى هذا الحديث من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ انتهى. وقد أخرج حديث أنس بن عساكر بنحوه، كما في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٤) وفي أوله قال: خطبنا رسول الله ﷺ على ناقته الجداء وليست بالعضباء فقال: يا أيها الناس - فذكره وزاد: نبوئهم أجدائهم ونأكل ثرائهم، وفي رواية: واتبع السنة ولم يعدها إلى بدعة. وأخرجه البزار عن أنس بنحوه، وفي روايته: على ناقته العضباء وليست بالجدعاء، وفي روايته: نبوئهم أجدائهم، وفي روايته: وخالط أهل الفقه وجانب أهل الشك والبدعة وصلحت علانيته وعزل الناس عن شره. قال الهيثمي (ج ١٠ ص ٢٢٩): رواه البزار وفيه النصر بن محرز وغيره من الضعفاء .

• وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ على المنبر والناس حوله: أيها الناس! استحيوا من الله حق الحياء، فقال رجل: يا رسول الله! إنا لنستحي من الله تعالى؟ فقال: من كان منكم مستحيًا فلا يبين ليلة إلا وأجله بين عينيه، وليحفظ البطن وما وعى والراس وما حوى، وليذكر الموت والبلى، وليترك زينة الدنيا. ورواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه، وقال: حديث غريب؛ كذا في الترغيب (ج ٥ ص ٣٠٠).

خطبته ﷺ في الحشر

• أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول: إنكم ملاقو الله حفاة^(١) عراة غرلا - زاد في رواية: مشاة، وفي رواية: قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: يا أيها الناس! إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْتَنَا إِنَّا كَنَّا فَلَئِيلِينَ﴾^(٢) ألا! وإن أول الخلائق يكسى إبراهيم - عليه السلام - ألا! وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يارب!

(١) جمع حاف أى الماشى بلا خف ولا نعل، وعراة جمع عار، وغرلا جمع أغرل وهو الأكلف، ومشاة جمع ماش.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٤.

أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾^(١) إلى قوله: ﴿الْمَزِيدُ لَكِمْ﴾ قال: فيقال لى: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. زاد فى رواية فأقول: سحقا سحقا^(٢)؛ كذا فى الترغيب (ج ٥ ص ٣٤٥).

خطبته ﷺ فى القدر

• أخرج الطبرانى فى الأوسط وأبو سهل الجندىسابورى عن على ؓ قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: كتاب كتب الله فيه أهل الجنة بأسمائهم وأنسابهم فيجمل عليهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم إلى يوم القيامة، ثم قال: كتاب كتب الله فيه أهل النار بأسمائهم وأنسابهم فيجمل عليهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم إلى يوم القيامة، صاحب الجنة مختوم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل، وصاحب النار مختوم له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل، وقد يسلك بأهل السعادة طريق الشقاء حتى يقال ما أشبههم بل هم منهم وتدركهم السعادة فتستفقدهم، وقد يسلك بأهل الشقاء طريق السعادة حتى يقال ما أشبههم بهم بل هم منهم ويدركهم الشقاء فيستخرجهم، من كتبه الله سعيدا فى أم الكتاب لم يخرج من الدنيا حتى يستعمله بعمل يسعده به قبل موته ولو بفواق^(٣) ناقة، ومن كتبه الله فى الكتاب شقيا لم يخرج من الدنيا حتى يستعمله بعمل يشقى به من قبل موته ولو بفواق ناقة، والأعمال بخواتمها؛ كذا فى الكنز (ج ١ ص ٨٧). قال الهيثمى (ج ٧ ص ٢١٣): رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه حماد ابن واقد الصفار وهو ضعيف.

خطبته ﷺ فى نفع رحمه

• أخرج ابن النجار عن أبى سعيد ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول على المنبر: ما بال رجال يقولون: رحم رسول الله ﷺ لا ينفع يوم القيامة والله

(٣) هو ما بين الحلبتين من الراحة.

(٢) بعدا بعدا.

(١) سورة المائدة الآية ١١٧.

إن رحمى لموصلة فى الدنيا والآخرة، وإنى أيتها الناس فرط لكم يوم القيامة على الحوض، وإن رجالا يقولون: يا رسول الله! أنا فلان بن فلان فأقول: أما النسب فقد عرفته ولكنكم أحدثتم بعدى وارتددتم القهقرى^(١)؛ كذا فى الكنز (ج ١ ص ١٩٨). وأخرجه أحمد أيضا عن أبى سعيد نحوه، كما فى التفسير لابن كثير (ج ٣ ص ٢٥٦).

خطبته ﷺ فى الولاية والعمال

• أخرج الطبرانى عن أبى سعيد ؓ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال فى خطبته: ألا! إنى أوشك فأدعى فأجيب فيليكم عمال من بعدى يعملون بما تعلمون ويعملون ما تعرفون، وطاعة أولئك طاعة، فنتلبثون كذلك زمانا فيليكم عمال من بعدهم يعملون بما لاتعلمون ويعملون بما لاتعرفون، فمن قادهم وناصرهم فأولئك قد هلكوا وأهلكوا وخالطوهم بأجسادكم وزايوهم بأعمالكم! واشهدوا على المحسن أنه محسن وعلى المسيء. قال الهيثمى (ج ٥ ص ٢٣٧): رواه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه محمد بن على المروزى وهو ضعيف.

• وأخرج البخارى (ج ٢ ص ٩٨٢) عن أبى حميد الساعدى ؓ أن رسول الله ﷺ استعمل عاملا فجاءه العامل حين فرغ من عمله فقال: يا رسول الله! هذا لكم وهذا أهدى لى، فقال له: أفلا قعدت فى بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدى لك أم لا؟ ثم قام رسول الله ﷺ عشية بعد الصلاة فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول: هذا من عملكم وهذا أهدى لى، أفلا قعد فى بيت أبيه وأمه فنظر هل يهدى له أم لا؟ فالذى نفس محمد بيده! لا يغل^(٢) أحدكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، إن كان بعيرا جاء به له رغاء^(٣)، وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار^(٤)، وإن كانت شاة جاء بها تيعر^(٥)؛ فقد بلغت. فقال أبو حميد: ثم رفع رسول الله ﷺ يده حتى أنا لننظر إلى عفرة^(٦) إبطيه، قال أبو حميد: وقد سمع ذلك معى زيد بن ثابت ؓ من النبى ﷺ فسلوه. وأخرجه أيضا مسلم وأبو داود وأحمد، كما فى الجامع الصغير.

(١) هو المشى إلى خلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه.

(٢) صوت ذات البقر.

(٣) صوت ذات الخف.

(٤) أى لا يخون.

(٥) بياض غير خالص بل كلون غفر الأرض وهو وجهها.

(٦) تصيح.

خطبته ﷺ في الأنصار

• أخرج أحمد عن أبي قتادة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر للأنصار: ألا! إن الناس دناري^(١) والأنصار شعاري، لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبة لاتبعت شعبة الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، فمن ولي أمر الأنصار فليحسن إلى محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم! فمن أفرعهم فقد أفرع هذا الذي بين هذين - وأشار إلى نفسه. قال الهيثمي (ج ١٠ ص ٣٥): رجاله رجال الصحيح غير يحيى بن النضر الأنصاري وهو ثقة.

وعنده أيضاً عن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ؓ وهو أحد الثلاثة الذين - تيب عليهم - يعنى أباه أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ خرج يوماً عاصباً رأسه فقال في خطبته: أما بعد يا معاشر المهاجرين! فإنكم قد أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هينتها التي هي عليها اليوم، وإن الأنصار عيبتى التي أويت إليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم. قال الهيثمي (ج ١٠ ص ٣٦): رجاله رجال الصحيح.

الخطب المتفرقة عن النبي ﷺ

• أخرج أبو يعلى والبزار عن أبي بكر الصديق ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ على أعواد المنبر يقول: اتقوا النار ولو بشق تمره! فإنها تقسيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان، كذا في الترغيب (ج ٢ ص ١٣٤).

• وأخرج أحمد وابن أبي شيبه وابن ماجه عن عامر بن ربيعة عن أبيه ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول: من صلى على صلاة لم تزل الملائكة تصلى عليه ما صلى على، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر؛ كذا في الترغيب (ج ٣ ص ١٦٠).

(١) الدنار هو ثوب فوق الشعار، والشعار ثوب يلي الجسد.

• وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيبا فقال: من سره أن يزحزح^(١) عن النار ويدخل الجنة فليدركه موته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه، كذا في الكنز (ج ١ ص ٧٦).

• وأخرج الشيخان عن أنس ؓ قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط ، فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين^(٢).

وفي رواية: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: عرضت على الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه غطوا رؤوسهم ولهم خنين؛ كذا في الترغيب (ج ٥ ص ٢٢٦).

• وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ يَأْتِي رَبَّهُ حُرْمًا فَإِنْ لَمْ يَجَهِّمُوا لَمْ يَمُوتُوا فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾^(٣) قال النبي ﷺ: أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين ليسوا من أهلها فإن النار تمسهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون، فتجعل الضبائر^(٤) فيؤتى بهم نهرا يقال له الحياة أو الحيوان فينبتون كما ينبت العشب في حميل^(٥) السيل؛ كذا في التفسير لابن كثير (ج ٣ ص ١٥٩).

• وأخرج الحاكم (ج ٤ ص ٣٣٦) عن أبي زهير الثقفي ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته: يا أيها الناس! توشكون أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار - أو قال: خياركم من شراركم - فقال رجل من الناس: بئ يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيئ، أنتم شهود بعضكم على بعض. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

• وأخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم عن عبد الله بن ثعلبة عن أبيه ؓ أن رسول الله ﷺ قام خطيبا فأمر بصدقة الفطر صاع تمر أو صاع شعير عن كل واحد - أو قال: عن كل رأس - الصغير والكبير والحر والعبد، كذا في الكنز (ج ٤ ص ٣٣٨).

(١) يبعد. (٢) هو ضرب من البكاء دون الانتحاب وأصله خروج الصوت من الأنف كالحنين من الغم.

(٣) سورة طه الآية ٧٤.

(٤) الجماعات جمع ضبارة. (٥) هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء أو غيره بمعنى محموله.

الجوامع من خطبه ﷺ

• أخرج البيهقي في الدلائل وابن عساكر في تاريخه عن عقبه بن عامر الجهني قال: خرجنا في غزوة تبوك فاسترقد رسول الله ﷺ إذ كان منها على ليلة فلم يستيقظ حتى كانت الشمس كرمح فقال: ألم أقل لك يا بلال: اكلاً^(١) لنا الفجر؟ فقال: يا رسول الله! ذهب بي الذي ذهب بك، فانتقل غير بعيد ثم صلى ثم حمد الله ثم أتني عليه ثم قال: أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الممل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير العلم ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة.

ومن الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما قر^(٢) في القلوب اليقين، والارتياح من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول^(٣) من جئاء^(٤) جهنم، والكنزكى^(٥) من النار، والشعر من مزامير إبليس، والخمر جماع^(٦) الإثم، والنساء حباله الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقى من شقى فى بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتأل^(٧) على الله يكذبه، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم^(٨) الغيظ يأجره الله،

(١) أى احفظ.

(٢) مكن وثبت.

(٣) الخيانة فى المعنم والمسرقة من الغنمة قبل القسمة، وكل من خان فى شىء خفية فقد غل، وسميت غلولا لأن الأيدي فيها مغلولة أى ممنوعة.

(٤) جمع جئوة وهو الشىء المجموع.

(٥) إحراق الجلد بالنار.

(٦) من حكم عليه وحلف.

(٧) أى مجمهه ومظنته.

(٨) أى يتجرعه ويصبر عليه.

ومن يصبر على الرزية^(١) يعوضه الله، ومن يتبع السمعة يسمع الله به، ومن يصبر يضعف الله له، ومن يعص الله يعذبه الله؛ اللهم اغفر لى ولأمتى! اللهم اغفر لى ولأمتى! اللهم اغفر لى ولأمتى! اللهم اغفر لى ولأمتى! وأخرجه أبو نصر السجزي أيضاً في كتاب الإبانة عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً.

• وأخرجه ابن أبي شيبة وأبو نعيم في الحلية والقضاعي في الشهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، قال بعض شراح الشهاب: حسن غريب، ورواه العسكري والديلمي عن عقبة؛ كذا في الجامع الصغير للسيوطي وشرحه فيض القدير للمناوي (١٧٩/٢).

• وأخرجه الحاكم أيضاً من حديث عقبة كما في زاد المعاد.

• وأخرج أحمد عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته: وإن ربي أمرني أن أعلمكم مما جهلتم مما علمني في يومي هذا، كل مال نحلته عبادي حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإن الشياطين أنتم فأضلنهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، ثم إن الله عز وجل نظر إلى الأرض فمقتهم^(٢) عربهم وعجمهم إلا بقايا من بني إسرائيل، وقال: إنما بعثتك لأبتلك وأبتلى بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظاناً، ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشاً فقلت: يا رب! إذا يتلغوا رأسي فیدعوه خبزة، فقال: استخرجهم كما استخرجوك واغزم نغزك وأنفق عليهم فسننق عليك وابعث جيشاً نبعث خمسا أمثاله وقاتل بمن أطاعك من عصاك! وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق متصدق؛ ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، ورجل عفيف فقير ذو عيال متصدق، وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا دين له، والذين هم فيكم تبع- أو تبعاء، شك يحيى- لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك- وذكر البخل أو الكذب والشنظير^(٣) الفاحش. أخرجه أيضاً مسلم والنسائي، كما في التفسير لابن كثير (ج ٢ ص ٣٥).

(١) المصيبة.

(٢) أي غضب عليهم شديداً.

(٣) الفاحش وهو السيئ الخلق.

• وأخرج أحمد والترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وكان فيما قال: أما بعد فإن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء، ألا! إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى، منهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت كافرا، ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت مؤمنا، ألا! إن الغضب جمة توقد فى جوف ابن آدم، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه^(١) فإذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فالأرض الأرض! ألا! إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا، فإذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء الفىء وسريع الغضب سريع الفىء فإنها بها، ألا! إن خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب، وشر التجار من كان سيئ القضاء سيئ الطلب، فإذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب، أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فإنها لها، ألا! إن لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته، ألا! وأكبر الغدر غدر أمير عامة، ألا! لا يمنع رجلا مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه، ألا! إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، ألا! إن مثل ما بقى من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه؛ كذا فى الجامع وشرحه للمناوى وقال المناوى (ج ٢ ص ١٨١): وفيه على بن زيد بن جدعان أورده الذهبى فى الضعفاء. وقال أحمد ويحيى: ليس بشيء.. انتهى.

• وأخرج ابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان وابن عساكر عن السائب ابن مهران من أهل الشام، وكان قد أدرك الصحابة قال: لما دخل عمر رضي الله عنه الشام حمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فىنا خطيبا كقيامى فيكم فأمر بتقوى الله وصلة الرحم وصلاح ذات البين، وقال: عليكم بالجماعة. وفى لفظ: بالسمع والطاعة فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهى أمانة المسلم المؤمن. وأمانة المنافق الذى لاتسوؤه سيئته ولاتسره حسنته، إن عمل خيرا لم

(١) جمع ودج ما أحاط بالعنق من العروق التى يقطعها الذابح.

يرج من الله في ذلك الخير ثوابا، وإن عمل شرا لم يخف من الله في ذلك الشر عقوبة، فأجملوا في طلب الدنيا فإن الله قد تكفل بأرزاقكم، وكل سيتم له عمله الذي كان عاملا، استعينوا بالله على أعمالكم فإنه يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وعليه السلام ورحمة الله، السلام عليكم. قال البيهقي وابن عساكر: هذه خطبة عمر بن الخطاب على أهل الشام أثرها عن رسول الله ﷺ؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٧).

آخر خطبه ﷺ

• أخرج الطبراني عن معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنهما - قال قال رسول الله ﷺ: صبوا على من سبيع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم، قال: فخرج عاصبا رأسه ﷺ حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن عبدا من عباد الله خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله، فلم يلقتها إلا أبو بكر ﷺ فبكى فقال: نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأبنائنا! فقال رسول الله ﷺ: على رسلك، أفضل الناس عندي في الصحبة وذات اليد ابن أبي قحافة، انظروا هذه الأبواب الشوارع في المسجد فسدوها إلا ما كان من باب أبي بكر، فإني رأيت عليه نورا. قال الهيثمي (ج ٩ ص ٤٢): رواه الطبراني الأوسط والكبير باختصار إلا أنه زاد: وذكر قتلى أحد فصلى عليهم فأكثر، وإسناده حسن - انتهى.

• وأخرج البيهقي عن أيوب بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: أقيضوا على - فذكر بنحوه وزاد: فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه ذكر أصحاب أحد فاستغفر لهم ودعا لهم ثم قال: يا معشر المهاجرين! إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم عييتي^(١) التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم، ثم قال عليه الصلاة والسلام: أيها الناس! إن عبدا من عباد الله - فذكر نحوه. وفي رواية: ففهمها أبو بكر من بين الناس فبكى. قال ابن كثير في البداية (ج ٥ ص ٢٢٩): هذا مرسل له شواهد كثيرة.

(١) أي خيبتى وموضع سرى.

• وعند أحمد عن أبي سعيد ﷺ قال: خطب رسول الله الناس فقال: إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختر ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبو بكر، قال: فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد، فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال رسول الله ﷺ: إن آمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام ومودته، لا يبقى في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر؛ وهكذا أخرجه البخاري ومسلم كما في البداية (ج ٥ ص ٢٢٩).

• وأخرجه البخاري عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خرج في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بعصابة دسماً^(١) ملتحقاً بملحفة على منكبيه فجلس على المنبر - فذكر الخطبة وذكر فيها الوصاة بالأنصار إلى أن قال: فكان آخر مجلس جلس فيه رسول الله ﷺ حتى قبض - يعني آخر خطبة خطبها عليه الصلاة والسلام: كذا في البداية (ج ٥ ص ٢٣٠). وأخرجه ابن سعد (ج ٢ ص ٢٥١) عن أبي سعيد ﷺ بمعناه.

• وأخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه ﷺ وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم أن النبي ﷺ قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه واستغفر للشهداء الذين قتلوا يوم أحد فقال: إنكم يا معشر المهاجرين - فذكر الوصاة بالأنصار نحو ما تقدم في حديث أيوب عند البيهقي؛ قال الهيثمي (ج ١٠ ص ٣٧): رجاله رجال الصحيح.

• وأخرج الطبراني أيضاً عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: آخر خطبة خطبها رسول الله ﷺ - فذكر نحوه باختصار: قال الهيثمي (ج ١٠ ص ٣٧): رواه الطبراني ورجال الصحيح - انتهى.^١

• وأخرجه الحاكم (ج ٤ ص ٧٨) عن عبد الله بن كعب عن أبيه - فذكر نحوه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ وقال الذهبي: صحيح.

• وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة وابن عباس - رضى الله عنهما - يقولان: سمعنا رسول الله ﷺ في

(١) أى سواد.

آخر خطبته يقول: إن من حافظ على هؤلاء الصلوات الخمس المكتوبات فى جماعة كان أول من يجوز على الصراط كالبرق اللامع وحشره الله فى أول زمرة من التابعين، وكان له فى كل يوم وليلة حافظ عليهن كأجر ألف شهيد قتلوا فى سبيل الله. قال الهيثمى (ج ٢ ص ٣٩): وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعنه.

خطبة النبي ﷺ من الفجر إلى المغرب

• أخرج الحاكم (ج ٤ ص ٤٨٧) عن أبى زيد الأنصارى ؓ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فخطبنا إلى الظهر ثم نزل فصلى الظهر ثم خطبنا إلى العصر فنزل فصلى العصر ثم صعد فخطبنا إلى المغرب وحدثنا بما هو كائن فأعلمنا أحفظنا. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبى.

كيفية النبي ﷺ وقت الخطبة

• أخرج ابن سعد (ج ١ ص ٣٧٦) عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب الناس احمرت عيناه ورفع صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش صبحتكم أو مستكم ثم يقول: بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى، ثم يقول: أحسن الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة، من مات وترك مالا فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فألى وعلى.

• وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات ص ١٤٤ عن جابر - نحوه. وفى روايته: وعلا صوته وقال، ورواه مسلم فى الصحيح.

* * *

الباب الثالث

خطب الخلفاء الراشدين



خطب أمير المؤمنين أبي بكر الصديق ﷺ

• أخرج ابن سعد والمحاملى وغيرهما عن عروة قال: لما ولى أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس! قد وليت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن وسن النبي ﷺ السنن فعلمنا أن أكيس الكيس التقى، وأن أحق الحق الفجور، وأن أفواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه وأن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق؛ أيها الناس! إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت^(١) فقوموني^(٢)، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم؛ كذا فى الكنز (ج ٣ ص ١٣٠).

• وأخرجه الدينورى عن عبد الله بن عكيم قال: لما بويع أبو بكر صعد المنبر فنزل مرقاة من مقعد النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اعلموا أيها الناس! أن أكيس الكيس - فذكر نحوه وزاد فى آخره: وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ولا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر، ولا ظهرت الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء، فأطيعونى ما أطعت الله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم؛ كذا فى الكنز (ج ٣ ص ١٣٥).

• وأخرجه البيهقى (ج ٦ ص ٣٥٣) عن الحسن - فذكر بعض ما تقدم وزاد بعد قوله: أحق الحق الفجور، ألا! وإن الصدق عندى الأمانة والكذب الخيانة، وزاد بعد قوله: ولست بخيركم؛ قال الحسن: هو والله خيرهم غير مدافع ولكن المؤمن يهضم^(٣) نفسه، وزاد: ثم قال: ولوددت أنه كفانى هذا الأمر أحدكم؛ قال الحسن: صدق والله وإن أنتم أردتمونى على ما كان الله يقيم نبيه من الوحى ما ذلك عندى إنما أنا بشر فراعونى.

• وأخرجه أبو ذر الهروى وابن راهويه كما فى الكنز (ج ٣ ص ١٢٦) عن الحسن أن أبا بكر الصديق خطب فقال: أما والله! ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامى هذا كارها ولوددت أن فيكم من يكفينى، أفئظنون أنى أعمل فيكم بسنة

(١) عدلت عن الطريق.

(٢) فسدونى.

(٣) أى يضع من قدره تواضعا.

رسول الله ﷺ؟ إذن لأقوم بها أن رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحي وكان معه ملك وإن لى شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني أن لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعوني فإن استقمتم فأعينوني وإن زغت فقوموني؛ قال الحسن: خطبة والله ما خطب بها بعده.

• وأخرجه أبو زر الهروي في الجامع عن قيس بن أبي حازم مختصراً، كما في الكنز (ج ٣ ص ١٣٦)؛ وفي روايته: وإنما أنا بشر أصيب وأخطئ فإذا أصبت فاحمدوا الله وإذا أخطأت فقوموني.

• وأخرجه أحمد أيضاً عن قيس بن أبي حازم قال: إنى لجالس عند أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بعد وفاته بشهر قال- فذكر قصة فنودي في الناس: إن الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر شيئاً صنع له كان يخطب عليه وهي أول خطبة في الإسلام، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! ولوددت أن هذا كفانيه غيري، ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ما أطيقها، إن كان لمعصوما من الشيطان، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء. قال الهيثمي (ج ٥ ص ١٨٤): وفيه عيسى بن المسيب الجلي وهو ضعيف- أهـ. وقد تقدم (ج ٢ ص ١٧) من ذلك الخطبة من طريق عيسى بن عطية عند الطبراني قال: يا أيها الناس! إن الناس قد دخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً فهم عواذ الله وجيران الله، فإن استطعتم أن لا يظلمكم الله بشيء من ذمته فافعلوا، إن لى شيطاناً يحضرنى فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني لأمثل بأشعاركم وأبشاركم، يا أيها الناس! تفقدوا ضرائب غلمانكم أنه لا ينبغي للحم نبت من سحت^(١) أن يدخل الجنة.

• وأخرجه الطبري في التاريخ (ج ٢ ص ٤٦٠) عن عاصم بن عدى قال: نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ ليم بعث أسامة: ألا! لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف، وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس! إنما أنا مثلكم وإنى لا أدري لعلمكم ستكفونى ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمتم فتابعوني

وإن زغت فقوموني، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها، ألا! وإن لى شيطاننا يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني لا أوتر في أشعاركم وأبشاركم، وأنتم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن لا يمضي هذا الأجل ألا وأنتم في عمل صالح فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجد الجد والوحا^(١) الوحا والنجاء النجاء! فإن وراءكم طالبا حثيثا^(٢) أجلا مره^(٣) سريع، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا^(٤) الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات.

• وأخرج ابن زنجويه في كتاب الأموال عن سعيد بن أبي مريم قال: بلغني أنه لما استخلف أبو بكر ﷺ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه والله لولا أن تضيع أموركم ونحن بحضرتها لأحببت أن يكون هذا الأمر في عنق أبغضكم إليّ ثم لا يكون خيرا له إلا أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك، فاشرب^(٥) ورفعوا إليه رعوسهم فقال: على^(٦) رسلكم، إنكم عجلون؛ إنه لن يملك ملك قط إلا علم الله ملكه قبل أن يملكه فينقص نصف عمره وتوكل به الروح والحزن ويزهده فيما بيده ويرغبه فيما بأيدي الناس فتضنك^(٧) معيشته وإن أكل طعاما طيبا ولبس جيدا حتى إذا أضحي ظله وذهبت نفسه وورد إلى ربه فحاسبه فشد حسابه وقل غفرانه له، ألا! إن المساكين هم المغفورون، ألا! إن المساكين هم المغفورون، ألا! إن المساكين هم المغفورون؛ كذا في الكنز (ج ٣ ص ١٦٢).

• وأخرج أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٣٥ عن عبد الله بن عكيم قال: خطبنا

(١) السرعة السرعة وكذلك التراجع النجاء.

(٢) كذا في الأصل، وفي البداية (ج ٦ ص ٢٠٢) أمره سريع.

(٤) الغبط حد خاص، يقال: غبطت الرجل أغبطه غبطا - إذا اشتبهت أن يكون لك مثل ما له وأن يدوم عليه ما هو فيه، وحسنه أحسنه حسدا - إذا اشتبهت أن يكون لك مثل ماله وأن يزول عنه ما هو فيه.

(٥) أي رفع رأسه لينظر.

(٦) الرسل بالكسر الهيئة والتأني، قال الجوهري: يقال افعل كذا وكذا على رسلك، بالكسر - أي اتد فيه، كما يقال:

على هينتك.

(٧) تضيق.

أبو بكر رضي الله عنه فقال: أما بعد! فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو له أهل وأن تخلطوا الرغبة بالرغبة وتجمعوا الإلحاف^(١)، فإن الله تعالى أتى على زكريا وعلى أهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْحَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرِهِبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾^(٢). ثم اعلّموا عباد الله! إن الله تعالى قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك موثيقكم واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبه ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله وانتصحو كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة ووكّل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلّموا عباد الله! إنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الأجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحا الوحا النجاء النجاء! إن وراءكم طالب حثيث أمره سريع.

• وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة وهناد والحاكم والبيهقي بمثله، وروى بعضه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل؛ كما في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٦).

• وأخرج أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٣٥) عن عمرو بن دينار قال: خطب أبو بكر رضي الله عنه فقال: أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تستغفروه إنه كان غفارا - فذكر نحو حديث عبد الله عكيم وزاد: واعلموا أنكم ما أخلصتم الله عز وجل فربكم أعطتم وحقكم حفظتم فأعطوا ضرائبكم في أيام سلفكم واجعلوها نوافل بين أيديكم تستوفوا سلفكم حين فقركم وحاجتكم ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم، أين الملوك الذين كانوا أثاروا الأرض وعمروها؟ قد نسوا ونسى ذكرهم فهم اليوم كلا شيء فتلك بيوتهم خاوية^(٣) بما ظلموا وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركز^(٤)، وأين من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم؟ قد وردوا على ما قدموا فجلاوا الشقوة والسعادة، إن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه سوءا إلا بطاعته واتباع أمره، وأنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة؛ أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٠.

(٤) الصوت الخفي.

(١) الإلحاف.

(٣) ساقطة وخالية.

وعنده أيضاً عن نعيم بن نمحة قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق ﷺ: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون في أجل معلوم - فذكر نحو حديث عبد الله عكيم وزاد: ولا خير في قول لا يراد به وجه الله تعالى ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله عز وجل، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم؛ كذا في حلية أبي نعيم (ج ١ ص ٣٦).

• وقد أخرج هذه الخطبة الطبري في تاريخه (ج ٢ ص ٤٦٠) عن عاصم ابن عدى بإسناد فيه سيف فذكر أولاً خطبة أخرى كما ذكرناها ثم قال: وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها وخطأ ظفرتم به وضرائب أدتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم وتفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم، أين الجبارون؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعضع^(١) بهم الدهر وصاروا رميماً قد تركت عليهم القالات: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونسى ذكرهم وصاروا كلاً شياً، ألا! إن الله قد أبقى عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا دنيا غيرهم وبقينا خلفا بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا وإن اغتررنا كنا مثلهم، أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ صاروا تراباً وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت، ألا! إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه به سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته، أما! أنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة.

(١) أي أنزلهم.

• وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الحذر وابن عساكر عن موسى بن عقبة أن أبا بكر الصديق كان يخطب فيقول: الحمد لله رب العالمين، أحمدته ونستعينه ونسأله الكرامة فيما بعد الموت، فإنه قد دنا أجلي وأجلكم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا، أوصيكم بنقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به، فإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم، فإنه من يطع ولي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق، وإياكم واتباع الهوى! قد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب، وإياكم والفخر! وما فخر من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود ثم يأكله الدود ثم هو اليوم حصى وغدا ميت، فاعملوا يوما بيوم وساعة بساعة، وتوقوا دعاء المظلوم، وعدوا أنفسكم في الموتى، واصبروا فإن العمل كله بالصبر، واحذروا والحذر ينفع، واعملوا والعمل يقبل، واحذروا ما حذركم الله من عذابه.

وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته، وافهموا تفهموا، واتقوا توقوا، فإن الله تعالى قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجا به من نجا قبلكم، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه وما يحب من الأعمال وما يكره، فأني لألوكم ونفسي والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله، واعلموا أنكم ما أخلصتم الله من أعمالكم فربكم أطعتم وحظكم حفظتم واغتبطتم، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا بسلفكم وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم إليها، ثم تفكروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا، قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه، وحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت، إن الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا، ولا يصرف عنه سوءا إلا بطاعته واتباع أمره، فإنه لا خير في خير بعده النار، ولا شر في شر بعده الجنة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم واصلوا على نبيكم ﷺ ورحمة الله وبركاته؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٦).

• وأخرج أبو الشيخ عن يزيد بن هارون قال: خطب أبو بكر الصديق فقال في خطبته: يؤتى بعبد قد أنعم الله عليه وبسط له في الرزق قد أصح بدنه وقد كفر نعمة ربه، فيوقف بين يدي الله تعالى فيقال له: ماذا عملت ليومك هذا

وما قدمت لنفسك؟ فلا يجده قدم خيرا فيبكي حتى تنفد الدموع، ثم يعير فيخزي بما ضيع من طاعة الله فيبكي الدم، ثم يعير ويخزي حتى يأكل يديه إلى مرفقيه، ثم يعير فيخزي بما ضيع من طاعة الله فينتحب حتى تسقط حدقاته على وجنتيه وكل واحد منهما فرسخ في فرسخ، ثم يعير ويخزي حتى يقول: يا رب! ابعتني إلى النار وارحمني من مقامى هذا، وذلك قوله: ﴿أَنْتُمْ مَنْ يُكَادِرُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَنْتُمْ لَكُمْ نَارُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْمَظِيمُ﴾ (١). كذا في الكنز (ج ١ ص ٢٤٦).

• وأخرج ابن أبي الدنيا والدينورى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث أن أبا بكر الصديق خطب الناس فقال: والذي نفسى بيده! لئن اتقيتم وأحصنتم ليوشكن أن لا يأتى عليكم ألا يسير حتى تشبعوا من الخبز والسمن؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٠٦).

• وأخرج أبو نعيم فى الحلية ج ١ ص ٣٤ عن عروة بن الزبير عن أبيه أن أبا بكر ﷺ خطب الناس فقال: يا معشر المسلمين! استحيوا من الله عز وجل، فوالذى نفسى بيده! إنى لأظلم حين أذهب إلى الخائط فى الفضاء متقنعا بثوبى استحياء من ربي عز وجل. وأخرجه ابن المبارك ورسته وابن أبى شيبه والخرائطى فى مكارم الأخلاق عن ابن الزبير نحوه؛ كما فى الكنز (ج ٨ ص ٣٠٦).

• وأخرجه ابن حبان فى روضة العقلاء عن ابن شهاب أن أبا بكر الصديق قال يوما وهو يخطب: استحيوا من الله، فوالله! ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله ﷺ إلا مقنعا (٢) رأسى حياء من ربي؛ كذا فى الكنز (ج ٥ ص ١٢٤) وقال: وهو منقطع.

• وأخرج الترمذى وحسنه والنسائى عن أبى بكر أنه قام على المنبر ثم بكى فقال: قام فينا رسول الله ﷺ عام أول على المنبر ثم بكى فقال: سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية؛ كذا فى الترغيب (ج ٥ ص ٢٣٣).

وعند أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم عن أوس قال: خطبنا أبو بكر الصديق فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامى هذا عام الأول فقال: سلوا الله المعافاة- أو قال: العافية- فإنه لم يعط أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية- أو: المعافاة- وعليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنة، وإياكم والكذب! فإنه مع الفجور وهما فى النار، لاتحاسدوا ولاتباعضوا ولاتنقاطعوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله: كذا فى الكنز (ج ١ ص ٢١٩).

• وأخرج الحكيم والعسكرى والبيهقى عن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم قال: خطب أبو بكر الصديق فقال: قال رسول الله ﷺ: تعوذوا بالله من خشوع النفاق، قالوا: يا رسول الله! وما خشوع النفاق؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب؛ كذا فى الكنز (ج ٤ ص ٢٢٩).

• وأخرج أبو نعيم فى الحلية وابن جرير عن أبى العالية قال: خطبنا أبو بكر الصديق فقال: قال رسول الله ﷺ: للظاعن ركعتان وللمقيم أربع، مولدى بمكة ومهاجرى بالمدينة، فإذا خرجت مصعدا من ذى الحليفة صليت ركعتين؛ كذا فى الكنز (ج ٤ ص ٢٣٩).

• وأخرج أحمد فى الزهد عن أبى ضمرة قال: خطب أبو بكر الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه سيفتح لكم الشام فتأتون أرضا رفيقة فتشبعون فيها من الخبز والزيت وستبنى لكم فيها مساجد، وإياكم أن يعلم الله منكم أنكم تأتونها تلهيا! إنما بنيت للذكر؛ كذا فى الكنز (ج ٤ ص ٢٥٩).

* * *

خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ

• أخرج ابن سعد (ج ٣ ص ٢٧٥) عن حميد بن هلال قال أخبرنا من شهد وفاة أبي بكر الصديق ؓ فلما فرغ عمر ؓ من دفنه نفض^(١) يده عن تراب قبره ثم قام خطيباً مكانه فقال: إن الله ابتلاكم بى وابتلانى بكم وأبقانى فيكم بعد صاحبي فوالله! لا يحضرنى شيء من أمركم فيليه أحد دونى ولا يتغيب عنى فألو^(٢) فيه عن الجزء والأمانة! ولئن أحسنوا لأحسنن إليهم ولئن أساءوا لأنكلن بهم، قال الرجل: فوالله! ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا.

• وأخرج الدينورى عن الشعبى قال: لما ولى عمر بن الخطاب صعد المنبر فقال: ما كان الله ليرانى أن أرى نفسى أهلاً لمجلس أبى بكر فنزل مرقة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اقرأوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لاتخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله، وإنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة ولى اليتيم إن استغثت عفتت وإن افتقرت أكلت بالمعروف؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢١٠). وأخرجه الفضائلى عن الشعبى - نحوه كما فى الرياض النضرة (ج ٢ ص ٨٩).

وعند ابن المبارك وسعيد بن منصور وأحمد فى الزهد وابن أبى شيبه وغيرهم عن عمر أنه قال فى خطبته حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أهون لحسابكم. وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لاتخفى منكم خافية: كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٠٨).

• وأخرج أحمد وابن سعد ومسدد وابن خزيمة والحاكم والبيهقى وغيرهم عن أبى فراس قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: يا أيها الناس ألا! إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهرائنا النبى ﷺ وإذ ينزل الوحي وإذ ينبئنا الله من أخباركم، إلا! وإن النبى ﷺ قد انطلق وانقطع الوحي، وإنما نعرفكم بما نقول لكم: من اظهر منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه

(٢) فأقصر.

(١) حركها ليزول عنها الغبار.

عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم، ألا! إنه قد أتى علىّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده فقد خيل لي بأخره أن رجالا قد قرأوه يريدون به ما عند الناس فأريدوا الله بقراءته وأريدوه بأعمالكم، ألا! وإني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم^(١) ولال يأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلىّ فوالذي نفسي بيده! إذا لأقصنه^(٢) منه، ألا! لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ولاتجمروهم^(٣) فتفتنوهم ولاتمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولاتنزلوهم الغياض^(٤) فتضيعوهم؛ كذا في الكنز ج ٨ ص ٢٠٩. قال الهيثمي (ج ٥ ص ٢١١): أبو فراس لم أر من جرحة ولا وثقه وبقية رجاله ثقات - انتهى. وقال الحاكم (ج ٤ ص ٤٣٩): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

• وأخرج عبد الرزاق والطيالسي وأحمد والدارمي والترمذي وصححه وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن أبي العجفاء قال: خطب عمر فقال: ألا! لاتخلوا في صداق النساء فأنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي ﷺ ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولأصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية إن أحدكم ليغلي صدقة المرأة حتى يكون لها عداوة في نفسه وهي تقول: قد كلفت لك علق^(٥) القربة، وأخرى تقولونها لمن قتل في مغازيكم: قتل فلان شهيدا أو مات فلان شهيدا، ولعله يكون قد أوقر^(٦) عجز دابته أو دف^(٧) راحلته ذهباً أو ورقاً يلتمس التجارة، لاتقولوا ذلك ولكن قولوا كما قال النبي ﷺ: من قتل أو مات في سبيل الله فهو في الجنة.

وعند سعيد بن منصور وأبي يعلى عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب المنبر، ثم قرأ: أيها الناس! ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه وإنما الصداق فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، فلو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٩٧). وقد ذكرنا بعض طرق هذه الخطبة في النكاح.

(١) أي ظاهر جلودكم.

(٢) أي لاجتمعوهم في الظنور وتجبسوهم عن العود إلى أهلهم.

(٣) جمع غيبة وهي الشجر الملتف لأنهم إذا نزلوها تفرقوا فيها فتمكن منهم العدو.

(٤) أي تجشمت لأجلك كل شيء حتى علق القربة وهو حبيلها الذي تعلق به.

(٥) حمل وقرأ.

(٦) جانب كور البعير.

• وأخرج أبو داود في كتاب القدرية وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم عن عمر رضي الله عنه أنه خطب بالجابية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، فقال له قس^(١) بين يديه كلمة بالفارسية فقال عمر لمترجم يترجم له ما يقول؟ قال: يزعم أن الله لا يضل أحدا، فقال عمر: كذبت يا عدو الله بل الله خلقك وهو أضلك وهو يخلق النار إن شاء الله ولولا ولت^(٢) عقدا لضربت عنقك، ثم قال: إن الله لما خلق آدم نثر نريته فكتب أهل الجنة وما هم عاملون وأهل النار وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه، فتفرق الناس ويختلفون في القدر. وعند اللالكائي وابن عساكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن أبزي قال: أتى عمر فقيل له: إن ناسا يتكلمون في القدر، فقام خطيبا فقال: يا أيها الناس! إنما هلك من كان قبلكم من الأمم في أمر القدر، والذي نفس عمر بيده! لا أسمع برجلين يتكلمان فيه إلا ضربت أعناقهما، فأحجم الناس فما تكلم أحد حتى ظهر نابغة بالشام زمن الحجاج؛ كذا في الكنز (ج ١ ص ٨٦).

• وأخرج العدني عن الباهلي أن عمر قام في الناس خطيبا مدخله في الشام بالجابية فقال: تعلموا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله فإنه لم يبلغ منزلة ذي حق أن يطاع في معصية الله، واعلموا أنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق الله، قول بحق وتذكير عظيم، واعلموا أن بين العبد وبين رزقه حجابا فإن صبر أتاه رزقه وإن اقتحم هتك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه، وأدبو الخيل وانتضلوا^(٣) وانتعلوا وتسوكوا وتمعدوا^(٤) وإياكم وأخلاق العجم ومجاورة الجبارين وأن يرفع بين ظهرانيكم صليب وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر وتدخلوا الحمام بغير إزار وتدعوا^(٥) نساءكم يدخلن الحمامات! فإن ذلك لا يحل، وإياكم أن تكسبوا من عقد الأعاجم بعد نزولكم في بلادهم ما يحبسكم في أرضهم! فإنكم توشكون أن ترجعوا إلى بلادكم، وإياكم والصغار أن تجعلوه في رقابكم! وعليكم بأموال العرب الماشية تنزلون بها حيث نزلتم، واعلموا أن الأشربة تصنع من ثلاثة من الزبيب والعسل والتمر فما عتق منها فهو خمر لا يحل، واعلموا أن الله لا يزكي ثلاثة نفر ولا ينظر إليهم ولا يقربهم يوم القيامة

(١) من كان بين الأسقف والشماس.

(٢) كذا في الأصل، ولعله: ولت عقدا، والولت العهد المحكم.

(٣) ارموا بالسهام.

(٤) أي تشبهوا بعيش معد بن عدنان وكانوا أهل غنظ وقشف أي كونوا مثلهم ودعوا للتعلم وزى العجم.

(٥) تتركوا.

ولهم عذاب أليم: رجل أعطى أمامه صفقة يريد بها الدنيا فإن أصابها وفي له وإن لم يصبها لم يف له، ورجل خرج بسلعة بعد العصر يحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فاشترت لقلوبه، وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر، ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام؛ ومن أتى ساحرا أو كاهنا أو عرافا^(١) فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٧).

وذكر في الكنز (ج ٨ ص ٢١٠) وعن موسى بن عقبة قال: هذه خطبة عمر ابن الخطاب يوم الجابية: أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ما سواه الذى بطاعته يكرم أولياؤه وبمعصيته يضل أعداؤه فليس لهالك هلك معذرة فى فعل ضلالة حسبها هدى ولا فى ترك حق حسبه ضلالة، وإن أحق ما تعاهد الراعى من رعيته أن يتعاهدهم بما الله عليه من وظائف دينهم الذى هداهم الله له وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته، وبمعصيته وأن نقيم فيكم أمر الله عز وجل فى قريب الناس وبعبدهم ولانبألى على من مال الحق، وقد علمت أن أقواما يتمنون فى دينهم فيقولون: نحن نصلى مع المصلين ونجاهد مع المجاهدين وننتحل الهجرة، وكل ذلك يفعله أقوام لا يحملونه بحقه، وإن الإيمان ليس بالتحلى وإن للصلاة وقتا اشترطه الله فلا تصلح إلا به فوقت صلاة الفجر حين يزائل المرء ليله ويحرم على الصائم طعامه وشرابه فأتوها حظها من القرآن ووقت صلاة الظهر إذا كان القيظ فحين تزيف عن الفلك حتى يكون ظلك مثلك وذلك حين يهجر المهجر، فإذا كان الشتاء فحين تزيف عن الفلك حتى تكون على حاجبك الأيمن مع شروط الله فى الوضوء والركوع والسجود، وذلك لأن لاينام عن الصلاة ووقت صلاة العصر والشمس بيضاء نقية قبل أن تصفار قدر ما يسير الراكب على الجمل النقال فرسخين قبل غروب الشمس، وصلاة المغرب حين تغرب الشمس ويفطر الصائم، وصلاة العشاء حين يعسعس^(٢) الليل وتذهب حمرة الأفق إلى ثلث الليل فمن رقد قبل ذلك فلا أرقد الله عينيه، هذه مواقيت الصلاة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾^(٣).

(٢) يظلم.

(١) منجما أو حازيا يدعى علم الغيب.

(٣) سورة النساء الآية ١٠٣.

ويقول الرجل: قد هاجرت ولم يهاجر وإن المهاجرين الذين هجروا السيئات، ويقول أقوام: جاهدنا، وإن الجهاد في سبيل الله مجاهدة العدو واجتتاب الحرام، وقد يقاتل أقوام: يحسنون القتال لا يريدون بذلك الأجر ولا الذكر، وإنما القتل حتف^(١) من الحتوف وكل امرئ على ما قاتل عليه، وإن الرجل ليقاتل بطبيعته من الشجاعة فينجى من يعرف ومن لا يعرف، وإن الرجل ليحب بطبيعته فيسلم أباه وأمه، وإن الكلب ليهر^(٢) من وراء أهله، واعلموا أن الصوم حرام يجتنب فيه أذى المسلمين كما يمنع الرجل من لذته من الطعام والشراب والنساء فذلك الصيام التام، وإيتاء الزكاة التي فرض رسول الله ﷺ طيبة بها أنفسهم فلا يرون عليها برا، فافهموا ما توعظون به فإن الحرب من حرب دينه وإن السعيد من وعظ بغيره وإن الشقى من شقى في بطن أمه وإن شر الأمور مبتدعاتها، وإن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة، وإن للناس نفرة عن سلطانهم فعائد بالله أن يدركي وإياكم ضغائن^(٣) مجبولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة وقد خشيت أن تركنوا إلى الذين ظلموا فلا تطمئنوا، إلى من أوتى مالا عليكم بهذا القرآن فإن فيه نورا وشفاء وبغيره الشقاء، وقد قضيت الذي عليّ فيما ولأني الله عز وجل من أموركم ووعظتكم نصحا لكم وقد أمرنا لكم بأرزاقكم وقد جندنا لكم جنودكم وهيأنا لكم مغازيكم وأثبتنا لكم منازلكم ووسعنا لكم ما بلغ فيكم وما قاتلتكم عليه بأسيا فكم، فلا حجة لكم على الله بل الله الحجة عليكم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وقال ابن كثير في البداية (ج ٧ ص ٥٦) ذكر سيف في سياقه أن عمر ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعدما استخلف عليها على بن أبي طالب فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة: أيها الناس! أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم واعملوا لأخركم تكفوا أمر دنياكم، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حى ولا بينه وبين الله هوادة فمن أراد لحب (طريق) وجه الجنة فليزلم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ولا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساعته سيئته فهو مؤمن. وهي خطبة طويلة اختصرناها - انتهى.

(١) الموت.

(٢) يفتح.

(٣) جمع ضغينة وهي الحقد.

• وعند أحمد (ج ١ ص ١٨) عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى فيكم فقال: استوصوا بأصحابي خيرا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب حتى أن الرجل ليبئدئ بالشهادة قبل أن يسألها، فمن أراد منكم بحبة^(١) الجنة فليزلم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن.

وعند أحمد أيضاً (ج ١ ص ٥١) عن سويد بن غفلة أن عمر رضي الله عنه خطب الناس بالجابية^(٢) فقال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير إلا موضع أصبعين أو ثلاثة أو أربعة وأشار بكفه. وذكر في البداية (ج ٧ ص ٧٩) وأيضاً قال سيف بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس^(٣) في آخر سنة سبع عشرة قال: فلما أراد القفول^(٤) إلى المدينة في ذى الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا! إني قد وليت عليكم وقضيت الذى على فى الذى ولانى الله من أمركم، إن شاء الله فبسطنا بينكم فينكم ومنازلكم ومغازيكم وأبلغناكم ما لدينا فجدنا لكم الجنود وهيأنا لكم العروج وبوأنا لكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤكم وما قاتلتم عليه من شامكم وسمينا لكم أطعماتكم وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم، فمن علم شيئاً ينبغى العمل به، فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله - انتهى.

• وأخرج ابن جرير الطبرى فى تاريخه (ج ٣ ص ٢٨١) عن عروة بن الزبير وغيره أن عمر خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر، ثم قال: يا أيها الناس! إني قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استئضلاعا بما ينوب من مهم أموركم ما توليت ذلك منكم ولكفى عمر مهما محزنا انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ووضعها أين أضعها وبالسير فيكم كيف أسير، فربى المستعان فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده.

(٢) قرية من أعمال دمشق.

(١) أى وسط الجنة.

(٤) الرجوع.

(٣) كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس.

• وعنده أيضاً بهذا الإسناد أن عمر خطب فقال: إن الله عز وجل قد ولاني أمركم وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم وإني أسأل الله أن يعينني عليه وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عز وجل ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله، إنما العظمة لله عز وجل وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم أن عمر تغير منذ ولي، أعقل الحق من نفسي وأتقدم وأبين لكم أمري، فأيا رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق ليؤذني فإنما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم وحرمانكم وأعراضكم وأعطوا الحق من أنفسكم ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إليّ فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هودة، وأنا حبيب إلى صلاحكم عزيز على عتيتكم، وأنتم أناس عامتكم حضر في بلاد الله وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة وأنا مسئول عن أمانتي وما أنا فيه ومطلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله لا أكله إلى أحد ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامّة ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله.

• وذكر ابن جرير أيضاً في تاريخه (ج ٣ ص ٢٨٢) أن عمر رضي الله عنه خطب أيضاً فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم: أيها الناس! إن بعض الطمع فقر وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور، كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي فمن أسر شيئاً أخذ بسريرته ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر فإنه من أظهر لنا شيئاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١). أيها الناس! أطيبوا مثواكم وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نساءكم القباطي (٢) فإنه إن لم يشف (٣) فإنه يصف؛ أيها الناس! إنسى

(١) سورة التغابن الآية ١٦.

(٢) جمع قبطية وهي الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء وكأنه منسوب إلى القبط وهم أهل مصر، وضم القاف من تغيير النسب.

(٣) يقال شف الثوب يشف شفوفاً إذا بدا ما وراءه ولم يستره أي أن القباطي ثياب رقاق ضعيفة النسيج فإذا لبستها المرأة لصقت بأردافها فوصفتها فتهى عن لبسها وأحب أن يكسبن الشخان الغلاظ.

لوددت أن أنجو كفافا لا لى ولا على وإنى لأرجو إن غمرت فيكم يسيرا أو كثيرا أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله ولا يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوما، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، ولقليل في رفق خير من كثير في عنف^(١)، والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه، وإذا أراد أحدكم بعيرا فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فإن وجدته حديد الفؤاد فليشتره.

• وأخرج ابن جرير أيضاً في تاريخه (ج ٣ ص ٢٨٣) عن عروة وغيره قالوا: خطب عمر أيضاً فقال: إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا عن غير مسألة منكم له ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا لنفسه وعبادته وكان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه ولم يجعلكم لشيء غيره ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٢) وحملك في البر والبحر ورزقكم من الطيبات لعلمكم تشكرون ثم جعل لكم سمعا وبصرا.

ومن نعم الله عليكم نعم عم بها نبي آدم، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها وفدحهم^(٣) حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض قاهرون لأهلها قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان: أمة مستعبدة للإسلام وأهله يجزون لكم يستصنفون معاشهم وكدائهم ورشح جباههم عليهم المؤنة^(٤) ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة قد ملأ الله قلوبهم رعبا فليس لهم معقل^(٥) يلجأون إليه ولا مهرب يتقون به قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة^(٦) العيش استفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور بإذن الله مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها منذ كان الإسلام،

(٣) أثقلهم.
(٦) أي السعة.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٠.
(٥) الملجأ.

(١) أي شدة.
(٤) المشقة.

والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد، فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ولا يقدر قدرها ولا يستطيع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه، فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته والمسارعة إلى مرضاته، واذكروا عباد الله! بلاء الله عندكم واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثني وفرادي، فإن الله عز وجل قال لموسى: ﴿أَخْرِج قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١). وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢). فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون إليها مع المعرفة بالله ودينه وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ولكنتم كنتم أشد الناس معيشة وأثبته بالله جهالة، فلو كان هذا الذي استسلاككم^(٣) به لم يكن معه حظ في دنياكم غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرىاء^(٤) أن تشحوا على نصيبكم منه وأن تظهروه على غيره قبله ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له وقسرتم أنفسكم على طاعته وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لها ولانتقالها ووجلا منها ومن تحويلها فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها، وإن الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستيجاب للزيادة هذا لله على من أمركم ونهيكم واجب.

• وأخرج ابن جرير عن كليب قال: خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران فلما انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾^(٥). قال: لما كان يوم أحد هزمناهم، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزرو^(٦) كأنني أروى^(٧)، والناس يقولون: قتل محمد، فقلت: لا أحد يقول قتل محمد إلا قتلته، حتى اجتمعنا على الجبل فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾.

(١) سورة إبراهيم الآية ٥.

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٦.

(٣) أي استفدكم به من الهلكة.

(٤) جمع حرى أي الخلق.

(٥) سورة آل عمران الآية ١٥٥.

(٦) أي أثب.

(٧) جمع أروية وهي شاة الجبل.

• وعند ابن المنذر عن كليب قال: خطبنا عمر وكان يقرأ على المنبر: آل عمران ويقول: إنها أحذية ثم، قال: تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فصعدت الجبل فسمعت يهودياً يقول: قتل محمد، فقلت: لا أسمع أحداً يقول: قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون إليه! فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(١)؛ كذا في الكنز (ج ١ ص ٢٣٨).

• وأخرج أبو عبيد والخرائطي والصابوني وعبد الرزاق عن عبد الله بن عدى بن الخيار قال: سمعت عمر بن الخطاب على المنبر يقول: إن العبد إذا تواضع لله رفعه الله^(٢) حكمة، وقال: انتعش نعشك الله وهو في نفسه حقير، وفي أعين الناس كبير، وإذا تكبر وعدا طوره وهسه^(٣) الله إلى الأرض وقال: أخسأ أخسأك الله، هو في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير حتى لهو أهون عليهم من الخنزير، كذا في الكنز (ج ٢ ص ١٤٣).

• وأخرج الخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر بن الخطاب فقال: إني لعلى أنهاكم عن أشياء تصلح وأمركم بأشياء لا تصلح لكم، وإن من آخر القرآن نزولاً آية الربا، وإنه قد مات رسول الله ﷺ ولم يبينها لنا، فدعوا ما يريكم إلى ما لا يريكم؛ كذا في الكنز (ج ٢ ص ٢٣٢).

• وأخرج ابن الضياء عن الأسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه خطب الناس فقال: من أراد منكم الحج فلا يحرم من إلا من ميقات، والمواقيت التي وقتها لكم رسول الله ﷺ: لأهل المدينة ومن مر بها من غير أهلها ذو الحليفة، ولأهل الشام ومن مر بها من غير أهلها الجحفة، ولأهل نجد ومن مر بها من غير أهلها قرن، ولأهل اليمن يللم، ولأهل العراق وسائر الناس ذات عرق؛ كذا في الكنز (ج ٣ ص ٣٠).

• وأخرج أحمد وأبو يعلى وأبو عبيد عن ابن عباس قال: خطب عمر ﷺ فذكر الرجم فقال: لاتخذن عنه فإنه حد من حدود الله، ألا! إن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائلون: زاد عمر في كتاب الله ما ليس منه لكتبت في ناحية المصحف: شهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤.

(٢) كذا في الأصول، رفع الله حكمته أي قدره ومنزلته.

(٣) أي كسره.

وفلان وفلان أن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده، ألا! وإنه سيكون بعدكم قوم يكذبون بالرجم وبالذجال وبالشفاعة وبعبذاب القبر ويقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا.

• وعند مالك وابن سعد ومسدد والحاكم عن سعيد بن المسيب أن عمر رضي الله عنه لما أفاض من منى أناخ بالأبطح فكوم^(١) كومة من بطحاء فطرح عليها طرف ثوبه ثم استلقى عليها ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم! كبر سنى وضعف قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط، فلما قدم المدينة خطب الناس فقال: أيها الناس! قد فرضت لكم الفرائض وسننت لكم السنن وتركتكم على الواضحة، ثم صفق بيمينه على شماله ألا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا، ثم إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم وأن يقول قائل: لانجد حديثه في كتاب الله، فقد رأيت رسول الله ﷺ رجم ورجمنا بعده، فوالله لولا أن يقول الناس: أحدث عمر في كتاب الله لكتبتها في المصحف، فقد قرأناها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن؛ كذا في الكنز (ج ٣ ص ٩٠).

• وأخرج الطيالسي وابن سعد وابن أبي شيبه وأحمد وابن حبان ومسلم والنسائي وأبو عوانة وأبو يعلى عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى أن عمر ابن الخطاب قام على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله ﷺ وذكر أبا بكر ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا بحضور أجلي، رأيت: كأن ديكا نقرنى نقرتين أحمر، فقصصتها على أسماء بنت عميس فقالت: يقتلك رجل من العجم وإن الناس يأمروني أن أستخلف وإن الله عز وجل لم يكن ليضيع دينه وخلافته التي بعث بها نبيه ﷺ وأن يعجل بى أمر فإن الشورى فى هؤلاء الستة الذين مات النبى ﷺ وهو عنهم راض: عثمان وعلى والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص، فمن بايعتم منهم فاسمعوا له وأطيعوا، وإنى أعلم أن أناسا يستطيعون^(٢) فى هذا الأمر، أنا قاتلتهم بيدي هذه على الإسلام أولئك أعداء الكفار الضلال وإنى لأدع شيئا، أهم عندى من أمر الكلاله، وأيم الله! ما أغلظ لى نبى الله ﷺ فى شىء منذ صحبتته أشد مما أغلظ

(١) أى جمع وجعل كومة وهى القطعة المجتمعة المرتفعة من التراب ونحوه.

(٢) كذا فى الطبعة الأولى من الكنز، وفى الثانية ٤٢٣/٥ عن ابن سعد: سيطعون.

لى فى شأن الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى وقال: يكفيك آية الصيف التى نزلت فى آخر سورة النساء، وإنى إن أعش فسأقضى فيها بقضاء يعلمه من يقرأ ومن لا يقرأ، وإنى أشهد الله على أمراء الأمصار إنى إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويرفعوا إلى ما عمى عليهم، ثم إنكم أيها الناس! تأكلون من شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: هذا الثوم والبصل، وأيم الله! لقد كنت أرى نبي الله ﷺ يجد ريحها من الرجل فيأمر به فيؤخذ بيده فيخرج من المسجد حتى يؤتى به البقيع، فمن أكلها لا بد فليمتها طبخا، فخطب الناس يوم الجمعة، وأصيب يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة؛ كذا فى الكنز (ج ٣ ص ١٥٣).

• وأخرج الطبرانى فى الأوسط وأحمد والشاشى والبيهقى وسعيد بن منصور عن يسار بن معرور قال: خطبنا عمر ﷺ فقال: يا أيها الناس! إن رسول الله ﷺ نبي هذا المسجد ونحن معه المهاجرون والأنصار، فإذا اشتد الزحام فليسجد الرجل منكم على ظهر أخيه، ورأى قوما يصلون فى الطريق فقال: صلوا فى المسجد؛ كذا فى الكنز (ج ٤ ص ٢٥٩).

• وأخرج ابن عساکر وسعيد بن منصور وتمام عن عمر ﷺ قال: لما ولى عمر بن الخطاب ﷺ خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ أذن لنا فى المتعة ثلاثا ثم حرمها، والله! لا أعلم أحدا تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة إلا أن يأتينى بأربعة يشهدون أن رسول الله ﷺ أحلها بعد إذ حرمها ولا أجد رجلا من المسلمين تمتعا إلا جلده مائة جلدة إلا أن يأتينى بأربعة شهداء أن رسول الله ﷺ أحلها بعد إذ حرمها؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٩٣).

• وأخرج البيهقى عن عبد الله بن سعيد عن جده أنه سمع عمر ابن الخطاب ﷺ على المنبر يقول: يا معشر المسلمين! إن الله قد أفاء عليكم من بلاد الأعاجم من نسائهم وأولادهم ما لم يفئ على رسول الله ﷺ ولا على أبى بكر، وقد عرفت أن رجالا يسلمون بالنساء، وأيما رجل ولدت له امرأة من نساء العجم فلا تبعوا أمهات أولادكم! فإنكم إن فعلتم أوشك الرجل أن يطأ حريمه وهو لا يشعر؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٩٢).

• وأخرج ابن جرير عن معرور أو ابن معرور التميمى قال: سمعت عمر ابن الخطاب ﷺ وصعد المنبر قعد دون مقعد رسول الله ﷺ بمقعدين، فقال:

أوصيكم بتقوى الله واسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله أمركم؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٨).

• وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: أفلح منكم من حفظ من الهوى والغضب والطمع ووفق إلى الصدق في الحديث فإنه يجره إلى الخير، من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك، إياكم والفجور! ما فجور من خلق من التراب وإلى التراب يعود، اليوم حى وغدا ميت، اعملوا عمل يوم بيوم، واجتنبوا دعوة المظلوم، وعدوا أنفسكم من الموتى؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٨).

• وأخرج البخارى في الأدب وابن خزيمة وجعفر الفريراني عن قبيصة قال: سمعت عمر رضي الله عنه وهو يقول على المنبر: من لا يرحم لا يرحم، ومن لا يغفر لا يغفر له، ومن لا يتوب^(١) لا يتاب عليه، ومن لا يتق لا يوقه؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٧).

• وأخرج أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٥٠) عن عروة قال: قال عمر رضي الله عنه في خطبته تعلمون أن الطمع فقر وأن اليأس غنى، وأن الرجل إذا ينس من شيء استغنى عنه، وأخرجه ابن المبارك أيضاً؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٣٥).

• وأخرج أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٥٤ عن عبد الله بن خراش عن عمه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: اللهم! اعصمنا بحبك وثبتنا على أمرك، وأخرجه أيضاً أحمد في الزهد والرويانى واللائكائى وابن عساکر وزادوا: وارزقنا من فضلك؛ كما في الكنز (ج ١ ص ٣٠٣).

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١٧) عن أبي سعيد قال: خطب عمر الناس فقال: إن الله عز وجل رخص لنبية ﷺ ما شاء، وإن نبى الله ﷺ قد مضى لسبيله ﴿وَأْتِمُوا تَحَجَّ وَالْمَمْرَةَ﴾^(٢). كما أمركم الله عز وجل، وحصنوا فروج هذه النساء.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ٢٠) عن ابن الزبير قال: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: إنه سمع من رسول الله ﷺ يقول: من يلبس في الدنيا فلا يكساه في الآخرة.

(١) كذا في الكنز، والظاهر من لا يتب.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٦.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ٣٤) عن أبي عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف أنه شهد العيد مع عمر بن الخطاب ﷺ فصلى قبل أن يخطب بلا أذان ولا إقامة ثم خطب فقال: يا أيها الناس! إن رسول الله ﷺ نهى عن صيام هذين اليومين، أما أحدهما فيوم فطرکم من صيامکم وعيدکم، وأما الآخر فيوم تأکلون فيه من نسککم.

• أخرج أحمد (ج ١ ص ٤٣) عن علقمة بن وقاص الليثي أنه سمع عمر ابن الخطاب ﷺ وهو يخطب الناس وهو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما العمل بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

• وأخرج ابن سعد (ج ٣ ص ٣٢٢) عن سليمان بن يسار قال: خطب عمر ابن الخطاب الناس في زمان الرمادة فقال: أيها الناس! اتقوا الله في أنفسكم وفيما غاب عن الناس من أمرکم فقد ابتليت بکم وابتليت بي، فما أدري السخطة على دونکم أو عليكم دوني أو قد عميتي وعمتکم، فهلما فلندع الله يصلح قلوبنا وأن يرحمنا وأن يرفع عنا المحل، قال: فرئى عمر يومئذ رافعا يديه يدعو الله ودعا الناس وبكى وبكى الناس مليا ثم نزل.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ٤٤) عن أبي عثمان النهدي قال: إني لجالس تحت منبر عمر وهو يخطب الناس فقال في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان.

خطب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؓ

• أخرج ابن سعد (ج ٣ ص ٦٢) عن إبراهيم بن عبد الرحمن المخزومي أن عثمان ؓ لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن أول مركب صعب وإن بعد اليوم أياما وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها وما كنا خطباء وسيعلمنا الله.

• وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (ج ٣ ص ٣٠٥) من طريق سيف عن بدر بن عثمان عن عمه قال: لما بايع أهل الشورى عثمان وهو أشد كآبة^(١) فأتى منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال: إنكم في دار قلعة^(٢) وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم، ألا! وإن الدنيا طويت على الغرور، ﴿فَلَا تَعْرَنَ كُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْرَنَ كُمْ بِاللَّهِ الْعُرُوءُ﴾^(٣). اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا؟ ألم تلفظهم؟ أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا والذي هو خير فقال عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَمْ مَثَلِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾^(٤). وأقبل الناس يبايعونه.

• وأخرج ابن جرير أيضا في تاريخه (ج ٣ ص ٤٤٦) بإسناد فيه سيف عن عتبة قال: خطب عثمان الناس بعدما بويع فقال: أما بعد فأني قد حملت وقد قبلت، ألا! وإنى متبع ولست بمبتدع، ألا! وإن لكم على بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ثلاثا: إبتاع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ والكف عنكم إلا فيما استوجبتم، ألا! وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تنقوا بها فإنها ليست بنقة واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها.

(١) أي تحول وارتحال.

(٢) سورة الكهف الآية ٤٥، ٤٦.

(٣) تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن.

(٤) سورة لقمان الآية ٣٣.

• وأخرج الدينورى فى المجالسة وابن عساكر عن مجاهد قال: خطب عثمان ابن عفان فقال فى خطبته: ابن آدم! اعلم أن ملك الموت الذى وكل بك لم يزل يخلفك ويتخطى إلى غيرك منذ أنت فى الدنيا وكأنه قد تخطى غيرك إليك وقصدك، فخذ حذرک واستعد له ولا تغفل فإنه لا يغفل عنك، واعلم ابن آدم! إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لم يستعد لها غيرك، ولا بد من لقاء الله فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك والسلام؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ١٠٩).

• وأخرج الدينوزى وابن عساكر عن الحسن أن عثمان بن عفان خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! اتقوا الله فإن تقوى الله غنم، وإن أكيس الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واكتسب من نور الله نورا لظلمة القبر، وليخش عبداً أن يحشره الله الأعمى وقد كان بصيراً، وقد يكفى الحكيم جوامع الكلم والأصم ينادى من مكان بعيد، واعلموا أن من كان الله معه لم يخف شيئاً ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٢٤).

• وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن قال: رأيت عثمان على المنبر قال: يا أيها الناس! اتقوا الله فى هذه السرائر فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذى نفس محمد بيده! ما عمل أحد عملاً قط سراً إلا ألبسه رداءه علانية، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم تلا هذه الآية ورياشاً - ولم يقل - ﴿رَيْشًا وَيَلْبَسُ الْقَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(١). قال: السمى الحسن؛ كذا فى الكنز (ج ٢ ص ١٣٧).

• وأخرج أحمد والبخارى والمروزي والشاشى وأبو يعلى وسعيد بن منصور عن عباد بن زاهر قال: سمعت عثمان يخطب فقال: إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر وكان يعود مرضانا ويشيع جنازتنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير وإن ناساً يعلمونى به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط؛ كذا فى الكنز (ج ٤ ص ٤٤) قال الهيثمى (ج ٧ ص ٢٢٨) رواه أحمد وأبو يعلى^(٢) فى الكبير وزاد: فقال له أعين ابن امرأة الفرزدق: يا نعتل! إنك قد بدلت، فقال: من هذا؟ فقالوا: أعين، فقال: بل أنت أيها العبد، قال: فوثب الناس إلى أعين،

(١) كذا فى الأصل، والظاهر: الطبرانى.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٦.

قال: وجعل رجل من بنى ليث يزعهم^(١) عنه حتى أدخله داره؛ ورجالهما رجال الصحيح غير عباد بن زاهر وهو ثقة - انتهى.

• وأخرج الشافعي والبيهقي (ج ٨ ص ٩) عن مالك عن عمه أبي سهيل ابن مالك عن أبيه أنه سمع عثمان بن عفان يقول في خطبته: لا تكلفوا الصغير الكسب فإنه متى كلفتموه الكسب سرق، ولا تكلفوا الأمة غير ذات الصنعة الكسب فإنكم إن كلفتموها الكسب كسبت بفرجها، وعفوا إذ أعفكم الله، وعليكم من المطاعم بما طاب منها؛ قال البيهقي: ورفع بعضهم عن عثمان من حديث الثوري ورفع ضعيف، كذا في الكنز (ج ٥ ص ٤٧).

• وأخرج البيهقي عن زيد بن الصلت أنه سمع عثمان وهو على المنبر يقول: يا أيها الناس! إياكم والميسر - يريد النرد - فإنها قد ذكرت لي أنها في بيوت ناس منكم، فمن كان في بيته فليحرقها أو يكسرها؛ وقال عثمان مرة أخرى وهو على المنبر: يا أيها الناس! إنى قد كلمتكم في هذا النرد ولم أركم قد أخرجتموها، فلقد هممت أن أمر بحزم الحطب ثم أرسل إلى بيوت الذين هن في بيوتهم فأحرقها عليهم؛ كذا في الكنز (ج ٧ ص ٣٣٤).

• وأخرج البيهقي وابن عساكر عن سالم مولى عبد الرحمن بن حميد أن عثمان بن عفان أتم الصلاة بمنى ثم خطب الناس فقال: أيها الناس! إن السنة سنة رسول الله ﷺ وسنة صاحبيه، لكن حدث العام من الناس فخفت أن تستنوا؛ كذا في الكنز (ج ٤ ص ٢٣٩).

• وأخرج ابن عساكر عن قتبية بن مسلم قال: خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر فما زال يقول: إنه بيت الوحدة وبيت الغربة - حتى بكى وأبكى من حوله ثم قال: سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول: سمعت مروان يقول في خطبته: خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبة: ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر وذكره إلا بكى؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ١٠٩).

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ٦٢) عن سعيد بن المسيب قال: سمعت عثمان

(١) أى ينعهم.

يخطب على المنبر وهو يقول: كنت أبتاع التمر من بطن من اليهود يقال لهم بنو قينقاع فأبيعه بربح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: يا عثمان! إذا اشتريت فاقتل وإذا بعته فكل.

• وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (ج ٣ ص ٤٤٦) من طريق سيف عن بدر بن عثمان عن عمه قال: آخر خطبة خطبها عثمان في جماعة: إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركتوا إليها، إن الدنيا تغني والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية، فأثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله، اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغير والزموا جماعتكم، لاتصيروا أحزاباً ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (١). وقد تقدم ما قال عثمان في خطبة في فضل الحرس في سبيل الله في باب الجهاد.

• أخرج الإمام أحمد (ج ١ ص ٦٥) عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان ؓ قال: سمعت عثمان يقول على المنبر: أيها الناس إنني كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ كراهة تفرقكم عني، ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: رباط يوم في سبيل الله تعالى خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل.

• وأخرجه الإمام أحمد أيضاً (ج ١ ص ٦١) عن مصعب بن ثابت بن عبد الله ابن الزبير - رضي الله عنهما - قال قال عثمان بن عفان ؓ - وهو يخطب على منبره - : إنني محدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، ما كان يمنعني أن أحدثكم إلا الضن عليكم، وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: حرس ليلة في سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلاً ويصام نهاراً.

* * *

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

• أخرج ابن جرير في تاريخه (ج ٣ ص ٤٥٧) بإسناد فيه سيف عن علي ابن الحسين أول خطبة خطبها علي عليه السلام حين استخلف حمد الله وأثنى عليه فقال: إن الله عز وجل أنزل كتابا هاديا بيّن فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يودكم إلى الجنة، إن الله حرم حرما غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشدد بالإخلاص والتوحيد للمسلمين، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم وإن ما من خلفكم الساعة تحذوكم، تخفقوا تلحقوا فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه، واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض.

• وأخرج أبو الشيخ عن علي أنه خطب فقال: عشيرة الرجل للرجل خير من الرجل لعشيرته، إنه إن كف يده عنهم كف يدا واحدة، وكفوا عنه أيدي كثيرة مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم حتى لربما غضب الرجل للرجل وما يعرفه إلا بحسبه، وسألتو عليكم بذلك آيات من كتاب الله، فتلا هذه الآية ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(١). قال علي: والركن الشديد: العشيرة، فلم تكن للوط عشيرة، فوالذي لا إله إلا هو ما بعث الله نبيا قط بعد لوط إلا في ثروة من قومه - وتلا هذه الآية في شعيب ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِتْنًا صَاحِبًا﴾^(٢). قال: كان مكفوبا فنسبوه إلى الضعف ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتَكَ﴾ قال علي: فوالذي لا إله غيره! ما هابوا جلال ربهم إلا العشيرة؛ كذا في الكنز (ج ١ ص ٢٥٠).

• وأخرج الحسين بن يحيى القطان والبيهقي عن الشعبي قال: كان علي يخطب إذا حضر رمضان ثم يقول: هذا الشهر المبارك الذي فرض الله صيامه ولم يفرض قيامه ليحذر رجل أن يقول: أصوم إذا صام فلان وأفطر إذا أفطر

(٢) سورة هود الآية ٩١.

(١) سورة هود الآية ٨٠.

فلان، ألا! إن الصيام ليس من الطعام والشراب ولكن من الكذب والباطل والكفر، ألا! لا تقدموا الشهر، إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فأتوا العدة، قال: كان يقول ذلك بعد صلاة الفجر وصلاة العصر؛ كذا في الكنز (ج ٤ ص ٣٢٢).

• وأخرج الصابوني في المائتين وابن عساكر عن علي أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال: عباد الله! والله الموت ليس منه فوت! وإن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم، فالنجاة النجاة والوحاء^(١) الوحاء! وراءكم طالب حثيث^(٢) القبر فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته، ألا! وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، ألا! وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، أنا بيت الوحشة، ألا! وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نار حرها شديد وقعرها بعيد حليها حديد وخازنها مالك، ليس لله فيه - وفي لفظ: فيها - رحمة، وألا! وراء ذلك جنة عرضها السموات^(٣) والأرض أعدت للمتقين، جعلنا الله وإياكم من المتقين وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ١١٠). وذكر ابن كثير في البداية (ج ٨ ص ٦) هذه الخطبة عن الأصبغ بن نباتة قال: سعد على ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت - فذكر نحوه وزاد بعد قوله: أنا بيت الوحشة، ألا! وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. وزاد في روايته: ثم بكى وبكى المسلمون حوله.

• وأخرج الدينوري وابن عساكر عن عبد الله بن صالح العجلي عن أبيه قال: خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: عباد الله! لا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهي ما بين أهلها دول وسجال، لمن يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها في رخاء^(٤) وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور، العيش فيها مضموم والرخاء فيها لايدوم، وإنما أهلها فيها أغراض^(٥)

(١) السرعة السرعة.

(٢) في الكنز: كعرض السماء.

(٣) جمع غرض وهو الهدف.

(٤) سريع.

(٥) سعة العيش.

مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم^(١) بحمامها؛ عباد الله! إنكم وما أنتم من هذه الدنيا عن سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هادمة^(٢) خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية^(٣)، واستبدلوا بالقصور المشيدة^(٤) والسرر^(٥) والنمازق^(٦) الممهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور الملاطية الملحدة التي قد بين الخراب^(٧) فناؤها وشيد بالتراب بناؤها، فملها مقرب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين، لا يستأنسون بال عمران ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم^(٨) البلاء وأكلتهم الجنادل^(٩) والثرى؟ فأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد غضارة^(١٠) العيش رفاتا^(١١)، فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب وطمعوا فليس لهم إياب، هيهات هيهات! كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فكان قد صرتم إلى ما صاروا عليه من الوحدة والبلى في دار الموتى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد تناهت الأمور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقتم للتحصيل بين يدي ملك جليل؟ فطارت القلوب لإشفاقها^(١٢) من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحجب والأستار فظهرت منكم العيوب والأسرار، هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ليجزى الذين أساعوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا، جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأولياته حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢١٩) والمنتخب (ج ٦ ص ٣٢٤)، وذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة

(٣) أي محووة.

(٢) أي سلكنة.

(١) تكسروهم بموتها.

(٤) أي مبنية بالشيد وهو كل ما طليت به الحائط من جص وغيره.

(٦) جمع نمرقة أي الوسادة.

(٥) جمع سرير.

(٨) أي أهلكتهم.

(٧) وفي صفة الصفوة: بنى على الخراب.

(١٠) أي طيب العيش ولذته.

(٩) جمع جنذل وهو الصخر العظيم.

(١٢) لخوفها.

(١١) الرفات كل ما دق وكسر.

(ج ١ ص ١٢٤) بطولها وزاد في أوله: إن علي بن أبي طالب خطب فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليزيح^(١) به عنكم وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا - فذكر نحوه.

• وأخرج أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٧٧) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن عليا شيع جنازة فلما وضعت في لحدها عج^(٢) أهلها وبكوا فقال: ما تكون؟ أما والله! لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم وإن له فيهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحد؛ ثم قام فقال: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعا تعي ما عناها، وأبصارا لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها^(٣) في تركيب صورها، وما أمرها فإن الله لم يخلقكم عبثا ولم يضرب عنكم الذكر صفحا بل أكرمكم بالنعم السوابغ^(٤) وأرقدكم بأوفر الروافد^(٥) وأحاط بكم الإحصاء وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله! وجدوا في الطلب وبادروا بالعمل مقطع النهمات^(٦) وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل وشبح فائل^(٧) وسناد مائل، يمضي مستطرفا ويردى مستردفا بأنعاب شهواتها وختل تراضعها، اتعظوا عباد الله بالعبر واعتبروا بالآيات والأثر وازدجروا بالنذر وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب^(٨) المنية وضمكم بيت التراب ودهمتكم مقضعات الأمور بنفخة الصور وبعثرة القبور، وسياقة المحشر وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها وشاهد يشهد عليها بعملها وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون،

(١) ليزيل.

(٢) أي ما أصابها بدهية ومصيبة.

(٣) أي رفعا أصواتهم.

(٤) أي الكاملة.

(٥) أي المطايا.

(٦) الحاجات، والمراد من مقطع النهمات وهادم اللذات الموت.

(٧) أي ضعيف.

(٨) جمع مخلب وهو لسباع الطيور والبهائم بمنزلة الظفر للإنسان.

فارتجت^(١) لذلك اليوم البلاد ونادى المنادى وكان يوم التلقى وكشف عن ساق، وكسفت الشمس وحشرت الوحوش مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار وهلكت الأسرار وارتجت الأفئدة، فنزلت بأهل النار من الله سطوة مجيحة^(٢) وعقوبة منيحة، وبرزت الجحيم لها كلب ولجب^(٣) وقصيف^(٤) رعد وتغيظ ووعيد، تأجج جحيمها وغلا حميمها وتوقد سمومها، فلا ينفس خالدها ولا تتقطع حسراتها ولا يقصم كبولها، معهم ملائكة يبشرونهم بنزل من حميم وتصلية جحيم عن الله محجوبون ولأوليائه مفارقون وإلى النار منطلقون، عباد الله! اتقوا الله تقيّة من كنع^(٥) فخنع^(٦) وجل فرحل وحذر فأبصر فازدجر^(٧) فاحتث^(٨) طلبيا ونجا هربا وقدم للمعاد واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقما وبصيرا، وكفى بالكتاب خصما وحجيجا، وكفى بالجنة ثوبا، وكفى بالنار وبالا وعقابا؛ وأستغفر الله لى ولكم.

• وأخرج الدينورى وابن عساكر عن علي عليه السلام أنه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن الضمار^(٩) اليوم وغدا السباق، ألا! وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل فمن قصر فى أيام أملة قبل حضور أجله فقد خيب^(١٠)، ألا! فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة، ألا! وإنى لم أر كالجنة نائم طالبيها ولم أر كالنار نائم هاربيها، ألا! وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى جار^(١١) به الضلال، ألا! وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، ألا أيها الناس! إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا! إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم، أيها الناس! أحسنوا فى عمركم تحفظوا فى عقبكم، فإن الله تبارك وتعالى وعد جنّته من أطاعه ووعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ^(١٢) زفيرها ولا يفك أسيرها ولا يجبر كسيرها، حرها شديد وقعرها بعيد وماؤها صديد، وإن أخوف

(٣) أى صوت وجلبة مع اختلاط.

(٦) أى ذل.

(٩) وفى البداية: المضمار.

(١٢) لا يسكن صوتها.

(٢) مهلكة.

(٥) أى خضع ولان.

(٨) أى أسرع.

(١١) وفى البداية: جاد.

(١) اضطربت.

(٤) أى صوت هائل.

(٧) أى كف نفسه.

(١٠) وفى البداية: فقد خاب عمله.

ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٢٠) والمنتخب (ج ٦ ص ٣٢٤) وذكر ابن كثير في البداية (ج ٨ ص ٧) هذه الخطبة بطولها عن وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دلهم وقال: وفي رواية: فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وإن طول الأمل ينسى الآخرة.

• وأخرج ابن النجار عن زياد الأعرابي قال: سعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منبر الكوفة بعد الفتنة وفراغه من النهروان فحمد الله وحنقته العبرة فبكى حتى اخضلت^(١) لحيته بدموعه وجرت ثم نفض لحيته فوق رشاشها على ناس من أناس فكنا نقول: إن من أصابه من دموعه فقد حرمه الله على النار، ثم قال: يا أيها الناس! لا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطى منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى ويبتغي الزيادة فيما بقى، ويأمر ولا يأتي، وينهى ولا ينتهى، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويبغض الظالمين وهو منهم، تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن، إن استغنى فتن وإن مرض حزن وإن افتقر قنط ووهن، فهو بين الذنب والنعمة يرتع، يعاقى فلا يشكر ويبتلى فلا يصبر، كأن المحذر من الموت سواه، وكأن من وعد وزجر غيره، يا أغراض المنايا! يا رهائن الموت! ويا فاكهة الزمان! ويا نور الحدثان! ويا أخرس عند الحجج! ويا من غمرته الفتن وحيل بينه وبين معرفة العبر! بحق أقول: مانجا من نجا إلا بمعرفة نفسه وما هلك من هلك إلا من تحت يده، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُرْءَانُ فَسَّكَرٍ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(٢). جعلنا الله وإياكم ممن سمع الوعظ فقبل ودعى إلى العمل فعمل؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٢٠) والمنتخب (ج ٦ ص ٣٢٥).

• وأخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن يحيى بن يعمر أن علي بن أبي طالب عليه السلام خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، أنزل الله بهم العقوبات، ألا! فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب

أجلا، إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان في أهل أو مال أو نفس، فإذا أصاب أحدكم النقصان في أهل أو مال أو نفس ورأى لغيره غيره^(١) فلا يكون ذلك له فتنة، فإن المرء المسلم مالم يغش دناءة يظهر تخشعا لها إذا ذكرت ويغرى به لئام الناس كاللياسر^(٢) الفالغ^(٣) الذي ينتظر أول فوزه^(٤) من قداحه توجب له المغنم وتدفع عنه المغرم، فكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة إنما ينتظر إحدى الحسينيين إذا ما دعا الله فما عند الله هو خير له وإما أن يرزقه الله مالا فإذا هو ذو أهل ومال، الحرث حرثان: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، قد يجمعهما الله لأقوام. قال سفيان بن عيينة: ومن يحسن يتكلم بهذا الكلام إلا على بن أبي طالب؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٢٠) ومنتخبه (ج ٦ ص ٣٢٦). وذكره في البداية (ج ٨ ص ٨) عن ابن أبي الدنيا بإسناده عن يحيى فذكر من قوله: إن الأمر ينزل من السماء - إلى آخره نحوه، وفيما ذكره: فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه وإما أن يعطيه الله في الآخرة، فالآخرة خير وأبقى، الحرث حرثان: فحرث الدنيا المال والتقوى، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات.

• وأخرج البيهقي عن أبي وائل قال: خطب عليّ ﷺ الناس بالكوفة فسمعتة يقول في خطبة: أيها الناس! إنه من يتفقر افتقر ومن يعمر يبنتلى ومن لا يستعد للبلاء إذا ابتلى لا يصبر ومن ملك استأثر ومن لا يستشير يندم، وكان يقول من وراء هذا الكلام: يوشك أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، وكان يقول: ألا! لا يستحي الرجل أن يتعلم، ومن يسأل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، مساجدكم يومئذ عامرة وقلوبكم وأبدانكم خربة من الهدى، شر من تحت ظل السماء فقهاؤكم منهم تبدو الفتنة وفيهم تعود، فقام رجل فقال: فقيم يا أمير المؤمنين! قال: إذا كان الفقه في رذالك^(٥) والفاحشة في خياركم والملك في صغاركم فعند ذلك تقوم الساعة؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢١٨).

(١) وفي البداية ج ٨ ص ٨ عن ابن أبي الدنيا: عشرة.

(٢) الفالغ الغالب في قمار.

(٣) اللياسر المقامر.

(٤) وفي البداية: فورة.

(٥) جمع رذيل.

وذكر ابن كثير في البداية (ج ٧ ص ٣٠٧) أن علياً عليه السلام قام فيهم خطيباً فقال: الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح وناشر الموتى وباعث من فى القبور، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأوصيكم بتقوى الله، فإن أفضل ما توسل به العبد بالإيمان والجهاد فى سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها من فريضته. وصوم شهر رمضان فإنه جنة^(١) من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة للفقير مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها مثراة فى المال منسأة فى الأجل محبة فى الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة وتطفى غضب الرب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقى مصارع الهول، أفيضوا فى ذكر الله فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد المتقون فإن وعد الله أصدق الوعد، واقتنوا بهدى نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدى، واستسنوا بسنته فإنها أفضل السنن، وتعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث، وتفقها فى الدين فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما فى الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون.

وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذى لا يستقيم عن جهله، بل قد رأيت أن الحجة أعظم والحسرة أدم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير فى جهله وكلاهما مضلل مثير، لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهلوا ولا تذهلوا فى الحق فتخسروا، ألا! وإن من الحزم أن تتقوا ومن الثقة ألا تغتروا، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه، من يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يخف ويندم، ثم سلوا الله اليقين وارغبوا إليه فى العاقبة، وخير مادام فى القلب اليقين، إن عوازم الأمور أفضلها وإن محدثاتها شرارها وكل محدث بدعة وكل محدث مبتدع ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة، المغبون من غبن دينه، والمغبون من خسر نفسه، وإن الربا من الشرك وإن الإخلاص من العمل والإيمان، ومجالس اللهو تنسى القرآن ويحضرها الشيطان وتدعو إلى كل غي، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتطمح إليه الأبصار وهى مصائد^(٢) الشيطان،

(٢) جمع مصيدة وهى ما يصاد به.

(١) أى ستر.

فاصدقوا الله فإن الله مع من صدق وجانبوا الكذب فإن الكذب بجانب للإيمان،
 ألا! إن الصدق على شرف منجاة وكرامة وإن الكذب على شرف ردى وهلكة،
 ألا! وقولوا الحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من
 انتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم وعودوا بالفضل على من حرمتكم، وإذا عاهدتم
 فأوفوا وإذا حكمتكم فاعدلوا، ولا تفاخروا بالأباء ولا تتبايزوا بالألقاب ولا تمازحوا
 ولا يغضب بعضكم بعضاً، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله
 وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وأفشوا السلام
 وردوا التحية على أهلها يمثلها أو بأحسن منها ﴿وَعَاوِظُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْقَوِيٍّ وَلَا نَعَاوِظُوا
 عَلَى الْإِثْرِ وَالْمُدْرِنِ وَأَقْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١).

وأكرموا الضيف وأحسنوا إلى الجار وعودوا المرضى وشيعوا الجنابة
 وكونوا عباد الله إخواناً؛ أما بعد! فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع وإن الآخرة
 قد أطلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق وإن السبقة الجنة
 والغاية النار، ألا! وإنكم في أيام مهل من ورائها أجل يحثه عجل، فمن أخلص لله
 عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمهله، ومن قصر عن
 ذلك فقد خسر عمله وخاب أمهله وضره أمهله، فاعملوا في الرغبة والرغبة فإن
 نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رغبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا
 الله واجمعوا معها رغبة فإن الله قد تأنى المسلمين بالحسنى ولمن شكر بالزيادة.

وإني لم أر مثل الجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها ولا أكثر مكتسباً من
 شيء كسبه ليوم تدخر فيه الذخائر وتبلى فيه السرائر وتجتمع فيه الكبائر، وإنه
 من لا ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال، ومن
 لا ينفعه اليقين يضره الشك، ومن لا ينفعه حاضره فعاز به عنه أعور وغائبه عنه
 أعجز، وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، ألا! وإن أخوف ما أخاف عليكم
 إثنان: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسى الآخرة وأما اتباع
 الهوى فيبعد عن الحق، ألا! وإن الدنيا قد ترحلت مديرة وإن الآخرة قد ترحلت
 مقبلة، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ولا تكونوا من بنى الدنيا،
 فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل. قال الحافظ ابن كثير: وهذه

خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر، وقد روى لها شواهد من وجوه آخر متصلة، والله الحمد والمنة - انتهى.

• وأخرج الطبراني عن أبي خيرة قال: صحبت علياً ﷺ حتى أتى الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: كيف أنتم إذا نزل بزية نبيكم بين ظهرانيكم؟ قالوا: إذا نبلى الله فيهم بلاء حسناً، فقال: والذي نفسي بيده! لينزلن بين ظهرانيكم ولتخرجن إليهم فلتقتلنهم ثم أقبل يقول:

هم أوردوه بالغرور وغردوا أجيئوا دعاه لا نجاة ولا عذرا

قال الهيثمي (ج ٩ ص ١٩١): وفيه سعيد بن وهب متأخر ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات - انتهى.

• وأخرج أحمد في مسنده ج ١ ص ٨١ عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: خطبنا على ﷺ فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة صحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب، قال: وفيها قال رسول الله ﷺ: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١٢٧) عن إبراهيم النخعي قال: ضرب علقمة بن قيس هذا المنبر وقال: خطبنا على ﷺ على هذا المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما شاء الله أن يذكر وقال: إن خير الناس كان بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر - رضى الله عنهما - ثم أحدثنا بعدهما أحداثاً يقضى الله فيها. وعنده أيضاً (ج ١ ص ١٠٦) عن أبي جحيفة أنه صعد المنبر - يعنى علياً ﷺ - فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني عمر - رضى الله عنهما -، وقال: يجعل الله تعالى الخير حيث أحب. وعنده أيضاً عن وهب السوائي بمعناه ألا إنه لم يذكر من قوله: ثم أحدثنا، وقال: وما نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ﷺ.

• وأخرج ابن أبي عاصم وابن شاهين واللالكائي في السنة والأصبهاني في الحجة وابن عساكر عن علقمة قال: خطبنا على ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه بلغني أن ناسا يفضلوني على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه ولكني أكره العقوبة قبل التقدم، فمن قال شيئاً من ذلك بعد مقامى هذا فهو مقتر عليه ما على المفتري، خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر - رضي الله عنهما - ثم أحدثنا بعدهم أحداثاً يقضى الله فيها ما يشاء؛ كذا في المنتخب (ج ٤ ص ٤٤٦). وعند أبي نعيم في الحلية عن زيد ابن وهب أن سويد بن غفلة دخل على علي ﷺ في إمارته فقال: يا أمير المؤمنين! إنى مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - بغير الذى هما له أهل، فنهض فرقى المنبر فقال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة! لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ولا يبغضهما إلا شقى مارق، فحبهما قرينة وبغضهما مروق، ما بال أقوام يذكرون أخوى رسول الله ﷺ ووزيريه وصاحبيه وسيدى قريش وأبوى المسلمين؟ فأنا برىء ممن يذكرهما بسوء وعليه معاقب؛ كذا في المنتخب (ج ٤ ص ٤٤٣). وقد تقدمت هذه الخطبة بطولها في الغضب للأكابر.

• وأخرج اللالكائي وأبو طالب العشارى ونصر في الحجة عن علي بن حسين قال: قال فتى من بنى هاشم لعلي بن أبي طالب ﷺ حين انصرف من صفين: سمعتك تخطب يا أمير المؤمنين في الجمعة! تقول: اللهم! أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين، فمن هم؟ فاغرورقت عيناه ثم قال: أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - إماما الهدى وشيخا الإسلام والمهتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، من اتبعهما هدى إلى صراط مستقيم، ومن اقتدى بهما يرشد ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون - كذا في المنتخب (ج ٤ ص ٤٤٤).

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١١٦) عن شيخ من بنى تميم قال: خطبنا على ﷺ أوقال: قال علي - ﷺ: يأتى على الناس زمان عضوض بعض الموسر على ما فى يديه، قال: ولم يؤمر بذلك، قال الله عز وجل: ولا تتسوا الفضل بينكم،

وينهد الأشرار ويستذل الأخيار ويبايح المضطرون، قال: وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطرين وعن بيع الغرر وعن بيع الثمرة قبل أن تدرك.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١٥٠) عن ربيعي بن حراش أنه سمع علياً ﷺ يخطب يقول: قال رسول الله ﷺ: لا تكذبوا عليّ فإنه من يكذب عليّ يلج النار؛ وأخرجه الطيالسي (ص ١٧) عن ربيعي - مثله.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١٥٦) عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: خطب علي ﷺ قال: يا أيها الناس! أقيموا على أركانكم الحدود من أحصن منهم ومن لم يحصن، فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت، فأمرني رسول الله ﷺ أن أقيم عليها الحد، فأتيتها فإذا هي حديث عهد بنفاس فخشيت إن أنا جلدتها أن تموت فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: أحسنت.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١٥٦) عن عبد الله بن سبع قال: خطبنا علي ﷺ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه! قال: قال الناس: فأعلمنا من هو، والله لنبيرين عترته! قال: أنشدكم بالله أن يقتل غير قاتلي، قالوا: إن كنت قد علمت ذلك استخلف إذا، قال: لا، ولكن أكلكم إلى ما وكلكم إليه رسول الله ﷺ.

• وأخرج عبد الرزاق وأبو عبيدة في الأموال والحاكم في الكنى وأبو نعيم في الحلية عن عمرو بن العلاء قال: خطب علي فقال: يا أيها الناس! والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه - وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب فقال: أهداها إلى دهقان؛ كذا في المنتخب (ج ٥ ص ٥٤).

• وأخرج ابن مردويه عن عمير بن عبد الملك قال: خطبنا علي بن أبي طالب ﷺ على منبر الكوفة قال: كنت إن لم أسأل النبي ﷺ ابتدأني وإن سألته عن الخير أنبأني. وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال: يقول الله عز وجل: وارتفاعي فوق عرشي؛ ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي، وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببت من طاعتي ثم تحولوا

عنها إلى ما كرهت من معصيتي إلا تحولت لهم عما يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٣).

ونختتم خطب الإمام علي عليه السلام بهذه الخطبة التي كانت بمثابة تعظيم لله عز وجل في ذاته وصفاته وأفعاله.

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون. ولا يحصى نعماءه العادون. ولا يؤدي حقه المجتهدون. الذي لا يدركه بعد الهمم^(١). ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود. ولا وقت معدود. ولا أجل ممدود، فطر^(٢) الخلائق بقدرته. ونشز الرياح برحمته. ووتد بالصخور ميدان^(٣) أرضه، أول الدين معرفته^(٤) وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه. لشهادة كل صفة أنه غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه. ومن قرنه فقد ثناه. ومن ثناه فقد جزأه. ومن جزأه فقد جهله^(٥). ومن جهله فقد أشار إليه. ومن أشار إليه فقد حده^(٦). ومن حده فقد عدّه. ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه. كائن لا عن حدث^(٧). موجود لا عن عدم. مع كل شيء لا بمقارنة. وغير كل شيء لا بمزايلة^(٨). فاعل لا بمعنى الحركات والآلة. بصير إذ لا منظور إليه من خلقه^(٩). متوحد إذ لا سكن يستأنس به. ولا يستوحش لفقده^(١٠) أنشأ الخلق إنشاء. وابتدأ ابتداء. بلا روية أجالها^(١١). ولا تجد به استفادها. ولا حركة أحدثها. ولا همامة نفس اضطرب فيها^(١٢).

(١) أي أن أصحاب الفكر وإن علت وبعدت لاحتيط به علما.

(٢) فطر: خلق.

(٣) الميدان: الحركة، ووتد: ثبت.

(٤) أول الدين معرفته: أي أساس الدين هو: معرفة الله تعالى.

(٥) جهله: أي جهل أنه منزّه عن مشابهة الماديات متدّس عن مضارعة المركبات.

(٦) فقد حده: إنما تشير إلى شيء إذا كان منك في جهة فأنت تتوجه إليها بإشارتك، وما كان منك في جهة فهو منقطع

عن غير فيكون محدودا أي له طرف - ينتهي إليه فمن أشار إليه فقد حده.

(٧) لا عن حدث: الحدث الإبداء أي هو موجود لكن لا عن ليداء.

(٨) المزائلة: المقارنة والمباينة.

(٩) أي بصير بخلق قبل وجودهم.

(١٠) ولا يستوحش لفقده: معناه أن الله متوحد مع التنزه عن السكن.

(١١) أجالها: أي أدارها ورددتها.

(١٢) همامة النفس أي اهتمامها بالأمر وقصدها إليه.

أحال الأشياء لأوقاتها^(١) ولام بين مختلفاتها^(٢). وعرز غرائزها^(٣). وألزمها أشباحها^(٤) عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها. عارفا بقرائنها وأحنائها^(٥) ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء^(٦). وشق الأرجاء وسكانك الهواء^(٧). فأجرى فيها ماء متلاطما تياره^(٨) متراكما زخاره. حمله على متن الريح العاصفة. والزعزع القاصفة فأمرها برده^(٩) وسلطها على شده وقرنها على حده. الهواء من تحتها فتيق^(١٠) والماء من فوقها دفيق. ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها^(١١). وأدام مرتبها. وأعصف مجراها. وأبعد منشأها. فأمرها بتصفيق الماء الزخار^(١٢) وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالقضاء ترد أوله إلى آخره. وساجبه إلى مائره^(١٣). حتى عبّ عبايه^(١٤) ورمى بالزبد ركامه. فرفعه في هواء منفثق. وجو منفهق^(١٥) فسوّى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوقا^(١٦) وعليهن سقفا محفوظا. وسما مرفوعا بغير عمد يدعمها. ولا دسار ينظمها^(١٧). ثم زينها بزينة الكواكب. وضياء الثواقب^(١٨) وأجرى فيها سراجا مستطيرا^(١٩). وقمرا منيرا في ذلك دائر. وسقف سائر. ورقيم مائر^(٢٠). ثم فتق ما بين السموات العلا. فملاهن أطوارا من ملائكته. منهم سجود لايركعون. وركوع لاينتصبون. وصافون^(٢١) لايترايلون^(٢٢) ومسبحون لايسأمون.

- (١) حولها من العدم إلى الوجود في أوقاتها.
(٢) كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادي.
(٣) الأشباح: أي أشخاصها.
(٤) أحنائها: أي مشتبهاتها.
(٥) سكانك الهواء: أي الهواء الملاهي عنان السماء.
(٦) التيار: الموج، والترام: ما يكون بعضه فوق بعض، الزخار: الامتداد - والارتفاع.
(٧) أمرها برده: أي منعها من الهبوط.
(٨) سلطها على شده: أي وثاقه، وقرنها إلى حده: أي جعلها مكانا له، والفتيق: أي المفتوق.
(٩) اعتقم مهبها: أي جعل عيوبها عقيما.
(١٠) ادام مرتبها: أي لازمها، وتصفيقه أي تحريكه.
(١١) ساجبه: ساكنه، مائره: الذي يذهب ويجيء.
(١٢) المنفثق: المفتوح الواسع.
(١٣) مكفوقا: المكثوف الممنوع من السيلان.
(١٤) الدسار: المسامير أو الحبال تشد بها ألواح السفينة.
(١٥) مستطيرا: منتشر الضياء وهو الشمس.
(١٦) الثواقب: النجوم.
(١٧) الرقيم هنا اسم من أسماء الفلك سمى به لأنه مرقوم بالكواكب.
(١٨) صافون: قائمون صفوقا.
(١٩) لايترايلون: لايتفارقون.

لا يغشاهم نوم العين. ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان. ولا غفلة النسيان. ومنهم أماء على وجبه والسنة على رسله. ومختلفون بقضائه وأمره ومنهم الحفظة لعباده. والسدنة لأبواب جنانه. ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم. والمارقة من السماء العليا أعناقهم. والخارجة من الأقطار أركانهم. والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم. ناكسة دونه أبصارهم. متلفعون تحته بأجنحتهم. مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة. لا يتوهمون ربهم بالتصوير. ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يجدونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظار^(١).

• أخرج الطبري (ج ٤ ص ٩) عن زيد بن وهب: أن علياً عليه السلام قام في الناس فقال: الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض وما أبرم لا ينقضه الناقضون! لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضلون ذا الفضل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار فلفت بيننا في هذا المكان، فنحن بربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجل النعمة وكان منه التغيير حتى يكذب الله الظالم، ويعلم الحق أين مصيره: ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار: ﴿يَجْزِي الَّذِينَ اسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾^(٢) ألا إنكم لا قوا القوم غداً، فاطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا الله عز وجل النصر والصبر، والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين، ثم انصرف - انتهى.

• وأخرج أيضاً (ج ٤ ص ١١) عن أبي عمرة الأنصاري وغيره: أن علياً عليه السلام حرض الناس يوم صفين فقال: إن الله عز وجل قد دلکم على تجارة تنجيکم من عذاب أليم، تشفى بکم على الخير، الإيمان بالله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والجهاد في سبيل الله تعالى ذكره، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبة في جنات عدن، ثم أخبركم أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص، فسووا صفوفكم كالبنیان المرصوص، وقدموا الدارع^(٣) وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس - فذكر الخطبة بطولها.

(١) نهج البلاغة: وهو ما جمعه السيد الشريف الرضى من كلام سيدنا علي بن أبي طالب. شرح وتعليق الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقاً، المطبعة الرحمانية بمصر. الجزء الأول.

(٢) سورة النجم الآية ٣١. (٣) الدارع: من عليه الدرع، والحاسر: من كان بلا درع أو بلا عمامة.

• وأخرج أيضاً (ج؛ ص ٥٧) عن أبي الوداك الهمداني: أن علياً ﷺ لما نزل بالنخيلة وآيس من الخوارج قام، فحمد الله وأثنى عليه! ثم قال: أما بعد! فإنه من ترك الجهاد في الله وادمن في أمره كان على شفا^(١) هلكة إلا أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله! وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفئ نور الله الخاطئين الضالين القاسطين^(٢) المجرمين الذين ليسوا بقراء للقرآن، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام، والله! لو ولو عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل تيسروا وتهياؤوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله - انتهى.

• وأخرج أيضاً (ج؛ ص ٦٧) من طريق أبي مخنف عن زيد بن وهب أن علياً ﷺ قال للناس - وهو أول كلام قال لهم بعد النهي -: أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده، حيارى^(٣) في الحق، جفاة^(٤) عن الكتاب، نكب^(٥) عن الدين، يعمهون^(٦) في الطغيان ويعكسون في غمرة الضلال، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلًا، وكفى بالله نصيرا. قال: فلاهم نفروا ولا تيسروا فتركهم أيما حتى إذا آيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم ووجوههم، فسألهم عن رأيهم، وما الذي ينظرهم فمنهم المعتل ومنهم المكره، وأقلهم من نشط فقام فيهم خطيبا فقال: عباد الله! ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا أثاقتكم إلى الأرض؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ وبالذل والهوان من العز، أو كلما ندبتكم^(٧) إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة، وكان قلوبكم مألوسة^(٨) فأنتم لا تعقلون، وكان أبصاركم كمة^(٩) فأنتم لا تبصرون، الله أنتم ما أنتم إلا أسود الشرى^(١٠) في الدعة^(١١) وتعالب رواغة حين تدعون إلى البأس، ما أنتم لى بقة سجين^(١٢) الليلي، ما أنتم بركب يصال بكم ولا ذي عز يعتصم إليه، لعمر الله! لبئس حشاش الحرب أنتم، أنكم تكادون ولا تكيدون، ويتنقص أطرافكم ولا تتحاشون،

(٣) جمع حيران.

(٦) يتحIRON.

(٢) للظالمين.

(٥) جمع نكباء، أي المنحرفين عن الدين.

(٨) المألوس هو الذي لختلط عقله.

(٩) جمع اكمه وهو الذي اعترته ظلمة تطمس على بصره.

(١١) الراحة.

(١٠) مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل.

(١٢) يقال لا أتيك سجين الليلي، أي أبدا.

ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، أن أخوا الحرب اليقظان ذو عقل، وبيات لذل من وادع^(١) وغلّب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب. ثم قال: أما بعد! فإن لي عليكم حقاً، وإن لكم عليّ حقاً، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فينكم عليكم وتعليمكم كيما لا تجهلوا وتأديبكم كي تعلموا، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في الغيب والمشهد والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين أمركم، فإن يرد الله بكم خيراً انتزعوا عما أكره وتراجعوا إلي ما أحب تناولوا ما تطلبون وتدرّكوا ما تأملون - انتهى.

• وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب (ج ١ ص ٣١٥) عن عبد الواحد الدمشقي قال: نادى حوشب الحميري علياً عليه السلام يوم صفين، فقال: انصرف عنا يا ابن أبي طالب! فأنا ننشذك الله في دماننا ودمك، ونخلى بينك وبين عراقك، وتخلي بيننا وبين شامنا، وتحقق دماء المسلمين. قال علي عليه السلام: هيهات! يا ابن أم ظليم! والله! لو علمت أن المداينة تسعني في دين الله لفعلت، وكان أهون عليّ في المؤونة، ولكن الله لم يرض من القرآن بالسكوت والادهان، إذا كان الله يعصى وهم يطيقون الدفاع والجهاد حتى يظهر أمر الله - انتهى وأخرجه أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٨٥) مثله.

* * *

الباب الرابع

خطب الصحابة والتابعين

وتابعي التابعين

خطب أمير المؤمنين الحسن بن علي - رضی الله تعالی عنهما -

• أخرج ابن سعد (ج ٣ ص ٣٨) عن هبيرة قال: لما توفي علي بن أبي طالب عليه السلام قام الحسن بن علي - رضی الله عنهما - فصعد المنبر فقال:

"أيها الناس! قد قبض الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه المبعث فيكتفه^(١) جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله فلا ينثنى حتى يفتح الله له، وما ترك إلا سبعمائة درهم أراد أن يشتري بها خادما، ولقد قبض في الليلة التي عرج فيها بروح عيسى ابن مريم ليلة سبع وعشرين من رمضان.

وزاد في رواية أخرى: ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، ولم يذكر قوله: ولقد قبض - إلى آخره. وعند أبي نعيم في الحلية ج ١ ص ٦٥ عن هبيرة بالسباق الثاني بمعناه. وأخرجه أحمد (ج ١ ص ١٩٩) عنه مختصرا.

• وعند أبي يعلى وابن جرير وابن عساكر عن الحسن كما في المنتخب (ج ٥ ص ١٦١) أنه لما قتل علي عليه السلام قام خطيبا فحمد الله وأنتى عليه ثم قال:

"أما بعد والله لقد قتلتم الليلة رجلا في ليلة نزل فيها القرآن وفيها رفع عيسى ابن مريم - عليه السلام - وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى - عليه السلام - وفيها تيب علي بنى إسرائيل.

• وأخرجه الطبراني عن أبي الطفيل فنذكر بمعنى روايتي ابن سعد ورواية أبي يعلى وغيره وزاد: ثم قال: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد عليه السلام - ثم تلا هذه الآية قول يوسف عليه السلام ﴿وَاتَّبَعَتْ مَلَأَ آبَاءَهُ إِتْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(٢) ثم أخذ في كتاب الله ثم قال: أنا ابن البشير! أنا ابن النذير! وأنا ابن النبي! أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه! وأنا ابن السراج المنير! وأنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين! وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا! وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وولاياتهم فقال فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣).

(١) فيحيطه.

(٢) سورة يوسف الآية ٣٨.

(٣) سورة الشورى الآية ٢٣.

قال الهيثمي (ج ٩ ص ١٤٦): رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار وأبو يعلى باختصار والبخاري بنحوه إلا أنه قال: ويعطيه الراية فإذا حم الوغى^(١) فقاتل جبريل عن يمينه؛ وقال: وكانت إحدى وعشرين من رمضان، ورواه أحمد باختصار كثير وإسناد أحمد وبعض طرق البخاري والطبراني في الكبير حسان - انتهى.

• وأخرجه الحاكم في المستدرک (ج ٣ ص ١٧٢) عن علي بن الحسين - رضي الله عنهما - بمعنى رواية أبي الطفيل وزاد: وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا - وزاد ﴿وَمَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً نَّزَدَ لَهُ فِيهَا حَسَنَةً﴾^(٢) ، فافتقرت الحسنة مودتنا أهل البيت. قال الذهبي: ليس بصحيح وسكت الحاكم.

• وأخرج الطبراني عن أبي جميلة أن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - حين قتل علي عليه السلام استخلف فينا هو يصلي بالناس إذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وركه فتمرض منها أشهراً ثم قام فخطب على المنبر فقال:

"يا أهل العراق! اتقوا الله فينا فأنا أمراؤكم وضيغانكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣) . فما زال يومئذ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلا باكياً.

قال الهيثمي (ج ٩ ص ١٧٢): رجاله ثقات - انتهى.

• وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي^(٤) جميلة - نحوه، وفي روايته: فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو ناح بكاء، كما في التفسير لابن كثير (ج ٣ ص ٤٨٦).

• وأخرج الطبراني في الكبير عن الشعبي قال: شهدت الحسن بن علي - رضي الله عنهما - بالحملة حين صالحه معاوية عليه السلام فقال له معاوية: إذ كان ذا فقم فتكلم وأخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر لي - وربما قال سفيان: أخبر الناس بهذا الأمر الذي تركته - فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه - قال الشعبي: وأنا أسمع - ثم قال: أما بعد فإن أكيس الكيس التقى وإن أحقق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية أما كان حقاً لي

(٢) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٤) في الأصل: ابن - كذا.

(١) أي اشتدت الحرب.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمايتهم، أو يكون حقا كان لامرئ أحق به مني ففعلت ذلك وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. قال الهيثمي (ج ٤ ص ٢٠٨): وفيه مجالد بن سعيد وفيه كلام وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح - انتهى.

• وأخرجه الحاكم (ج ٣ ص ١٧٥) من طريق مجالد عن الشعبي قال: خطبنا الحسن بن علي - رضي الله عنهما - بالبخلة^(١) حين صالح معاوية ﷺ فقام فحمد الله وأثنى عليه - فذكر نحوه، وزاد بعد قوله: إلى حين، أقول: قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. وأخرجه البيهقي (ج ٨ ص ١٧٣) من طريقه عنه نحوه.

• وذكر ابن جرير في تاريخه (ج ٤ ص ١٢٤) أن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - قال في ذلك الخطبة: أما بعد يا أيها الناس! فإن الله قد هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

* * *

(١) موضع بين مكة والطائف.

خطبة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنهما -

• أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم (ج ١ ص ٢٠) عن محمد بن كعب القرظي قال: كان معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنهما - يخطب بالمدينة يقول:

" أيها الناس! إنه لامنع لما أعطى الله، ولا معطى لما منع الله، ولا ينفع ذا الجد منه الجد، من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، سمعت هذه الكلمات من رسول الله ﷺ على هذه الأعداء".

• وعنده أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية ﷺ وخطبنا فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطى، ولن تزال هذه الأمة قائمة على الحق أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

• وعند أحمد وأبي يعلى ويعقوب بن سفيان وغيرهم عن عمير بن هاني أن معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنهما - خطبهم فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. وفي لفظ: وهم ظافرون على الناس، قال عمير بن هاني: فقام مالك بن يخامر فقال: سمعت معاذ بن جبل ﷺ يقول وهم بالشام؛ وعند ابن عساکر عن يونس بن جليس الجندی - فذكر نحوه وزاد: ثم نزع بهذه الآية: ﴿يَلْعَنُ إِلَى مَوْفِقِكَ وَيُرِيفُكَ إِلَى مَطْهَرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاءِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ قَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْيَوْمِ﴾^(١)؛ وعنده أيضاً عن مكحول عن معاوية ﷺ أنه قال وهو يخطب على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا أيها الناس! إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما يخشى الله من عباده العلماء، ولن تزال أمة من أمتي على الحق ظاهرين على الناس لا يباليون من خالفهم ولا من ناوهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون؛ كذا في الكنز (ج ٧ ص ١٣٠).

* * *

خطب أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير

- رضى الله تعالى عنهما -

• أخرج الطبرانى فى الكبير عن محمد بن عبد الله الثقفى قال: شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم قال: ما شعرنا حتى خرج علينا قبل يوم التروية بيوم وهو محرم رجل كهيئة كهل جميل فأقبل فقالوا: هذا أمير المؤمنين، فرقى المنبر وعليه ثوبان أبيضان ثم سلم عليهم فردوا عليه السلام ثم لبى بأحسن تلبية سمعتها قط ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

" أما بعد فإنكم جئتم من آفاق شتى وفودا على الله تعالى، فحقا على الله أن يكرم وفده، فمن جاء يطلب ما عند الله فإن طالب الله لا يخيب، فصدقوا قولكم بفعل فإن ملاك القول الفعل، والنية نية القلوب، الله الله فى أيامكم هذه! فإنها أيام يغفر فيها الذنوب، جئتم من آفاق شتى فى غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجون ههنا؛ ثم لبى الناس وتكلم بكلام كثير ثم قال: أما بعد فإن الله عز وجل قال فى كتابه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ قال وهى ثلاثة أشهر: شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة ﴿فَمَنْ فُرِضَ فِيهَا فَهِيَ الْحَجُّ فَإِنْ رَفَعْتُمْ عَنْهُ فَرْصَةٌ غَيْرُ الْحَجِّ فَلَا رَفْعَ﴾ لا جماع ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ لا سباب ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ لا مرأء ﴿فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَتَّى يَقْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكْرُودُوا فَإِنَّكُمْ خَيْرَ الْأَرْوَاقِ الثَّقَوِيَّ﴾ وقال عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فأحل لهم التجارة، ثم قال ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ وهو الموقف الذى يقفون عنده حتى تغيب الشمس ثم يفيضون ^(١) منه ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ قال: وهى الجبال التى يقفون المزدلفة، ﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ﴾ ^(٢). قال: ليس هذا بعام، هذا لأهل البلاد كانوا يفيضون من جمع ويفيض الناس من عرفات، فأبى الله لهم ذلك فأنزل ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ إلى مناسككم، قال: وكانوا إذا فرغوا من حجهم تفاخروا بالأباء فأنزل الله عز وجل ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ الْنَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) يدفعون فى السير بكثرة.

(٢) سورة البقرة الأيتان ١٩٧-١٩٨.

يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١﴾. قال: يعملون في دنياهم لآخرتهم ودنياهم، قال: ثم قرأ حتى بلغ ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ ﴿٢﴾ قال: وهي أيام التشريق فذكر الله فيهن بتسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وتمجيد، قال: ثم ذكر مهل الناس. قال: مهل أهل المدينة من ذي الحليفة، ومهل أهل العراق من العقيق، ومهل أهل نجد وأهل الطائف من قرن، وأهل اليمن من يلملم، قال: ثم دعا على كفرة أهل الكتاب فقال: اللهم! عذب كفرة أهل الكتاب الذين يجحدون بآياتك ويكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك، اللهم! عذبهم واجعل قلوبهم قلوب نساء فواجر - في دعاء كثير، ثم قال: إن ههنا رجالا قد أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتنون بالمتعة بأن يقدم الرجل من خراسان مهلا بالحج حتى إذا قدم قالوا: أحل من حجك بعمرة ثم أهل بحج من ههنا، والله! ما كانت المتعة إلا لمحصر. ثم لبي ولبي الناس، فما رأيت يوما قط كان أكثر باكيا من يومئذ، قال الهيثمي (ج ٣ ص ٢٥٠) وفيه سعيد بن المرزبان وقد وثق، وفيه كلام كثير وفيه غيره ممن لم أعرفه - انتهى. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٣٣٦) عن محمد بن عبد الله الثقفي - نحوه إلا أنه لم يذكر من قوله: وتكلم بكلام كثير - إلى قوله: إلا لمحصر، وفي إسناده سعيد ابن المرزبان.

• وأخرج ابن جرير في تفسيره (ج ٢ ص ١٦٨) عن هشام بن عروة قال: قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في خطبته: تعلمن أن عرفة كلها موقف إلا بطن عرفة، تعلمن أن مزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر.

• وأخرج أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٣٣٧) عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي الأنصاري قال: سمعت ابن الزبير يقول في خطبته على منبر مكة: يا أيها الناس! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: لو أن ابن آدم أعطى واديا من ذهب أحب إليه ثانيا ولو أعطى ثانيا أحب إليه ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٣.

(١) سورة البقرة الآيتان ٢٠٠ - ٢٠١.

• وأخرج أبو داود الطيالسي (ص ١٩٥) عن عطاء بن أبي رباح قال: بينما ابن الزبير يخطبنا إذ قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام تفضل بمائة. قال عطاء: فكأنه مائة ألف، قال: قلت: يا محمد! هذا الفضل الذي يذكر في المسجد الحرام وحده أو في الحرم؟ قال: لا، بل في الحرم فإن الحرم كله مسجد.

• وأخرج أحمد في مسنده ج ٤ ص ٤ عن وهب بن كيسان مولى ابن الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير في يوم العيد يقول حين صلى قبل الخطبة ثم قام يخطب الناس: يا أيها الناس! كلا سنة الله وسنة رسول الله ﷺ.

• وأخرج أحمد (ج ٤ ص ٥) عن ثابت قال: سمعت ابن الزبير وهو يخطب يقول: قال محمد ﷺ: من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة.

• وأخرج أحمد (ج ٤ ص ٥) عن أبي الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير يحدث على هذا المنبر وهو يقول: كان رسول الله ﷺ إذا سلم في دبر الصلاة أو الصلوات يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا إياه، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

• وأخرج أحمد (ج ٤ ص ٦) عن ثوير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو على المنبر يقول: هذا يوم عاشوراء فصوموه فإن رسول الله ﷺ أمر بصومه.

• وأخرج البخاري في الأدب ص ١٨٦ عن كلثوم بن جبر قال: خطبنا ابن الزبير فقال: يا أهل مكة! بلغني عن رجال من قريش يلعبون بلعبة يقال لها النردشير وكان أعسر، قال الله ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْمِرُ﴾^(١) وإنى أحلف بالله لا أوتى برجل لعب بها إلا عاقبته في شعره وبشره وأعطيت سلبه لمن أتاني به.

* * *

خطب عيد الله بن مسعود

• أخرج الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة خفيفة، فلما فرغ من خطبته قال: يا أبا بكر! قم فاخطب، فقصر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من خطبته قال: يا عمر! قم فاخطب، فقام فقصر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ودون أبي بكر، فلما فرغ من خطبته قال: يا فلان! قم فاخطب فشقق^(١) القول، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسكت - أو: اجلس - فإن التشقيق من الشيطان وإن البيان من السحر، وقال: يا ابن أم عبد! قم فاخطب، فقام ابن أم عبد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس! إن الله عز وجل ربنا، وإن الإسلام ديننا، وإن القرآن إمامنا، وإن البيت قبلتنا، وإن هذا نبينا - وأوما بيده إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ رضينا ما رضى الله تعالى لنا ورسوله، وكرهنا ما كره الله تعالى لنا ورسوله؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أصاب ابن أم عبد أصاب ابن أم عبد وصدق، رضى الله تعالى لى ولأمتى وابن أم عبد؛ قال الهيثمي (ج ٩ ص ٢٩٠): رجاله ثقات إلا أن عبید الله ابن عثمان بن خثيم لم يسمع من أبي الدرداء والله أعلم - انتهى.

• وأخرجه ابن عساکر عن سعيد بن جبیر عن أبي الدرداء - مثله. وفي رواية: رضيت ما رضى الله به لى ولأمتى وابن أم عبد، وكرهت ما كرهه الله لى ولأمتى وابن أم عبد؛ قال ابن عساکر: سعيد بن جبیر لم يدرك أبا الدرداء. وعنده أيضا عن عمرو بن عمرو بن حريث - فذكر الحديث وفيه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: تكلم فحمد الله فى أول كلامه وأثنى على الله وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد شهادة الحق وقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديننا، ورضيت لكم ما رضى الله ورسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رضيت لكم ما رضى لكم ابن أم عبد؛ كذا فى المنتخب (ج ٥ ص ٢٣٧).

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ٤٢١) عن أبي الأحوص الجشمي قال: بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم إذ مر بحية تمشى على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها حتى قتلها ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد حل دمه.

(١) أى تطلب فيه ليخرجه أحسن مخرج.

• وأخرج ابن سعد (ج ٣ ص ٦٣) عن أبي وائل أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سار من المدينة إلى الكوفة ثمانيا حين استخلف عثمان بن عفان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مات فلم نر يوما أكثر نشيجا^(١) من يومئذ، وإنا اجتمعنا أصحاب محمد فلم نأل عن خيرنا ذى فوق فبايعنا أمير المؤمنين عثمان فبايعوه.

خطبة عتبة بن غزوان رضي الله عنه

• أخرج مسلم عن خالد بن عمير قال: خطبنا عتبة بن غزوان رضي الله عنه وكان أميراً بالبصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

"أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صباية^(٢) كصباية الإناء يتصابها^(٣) صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفير^(٤) جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا، والله! لتملأن، أفعجبتكم؟ ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ^(٥) من الزحام، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار، وإنى أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الله صغيرا"؛ كذا في الترغيب (ج ٥ ص ١٧٩).

• وأخرجه الحاكم في المستدرک (ج ٣ ص ٢٦١) عن خالد - نحوه، وزاد في آخره: وإنما لم تكن نبوة قط إلا تناقصت حتى يكون عاقبتها ملكا وستجربون أو ستبلون الأمراء بعدى؛ قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وذكره

(٢) البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء.

(٤) أى من ناحيتها.

(١) أى صوتا معه توجع وبكاء.

(٣) أى يشرب صبايتها.

(٥) أى ممتلئ.

ابن الجوزى فى صفة الصفوة عن مسلم وقال: انفرد بإخراجه مسلم وليس لعتبة فى الصحيح غيره، وهكذا ذكره النابلسى فى ذخائر المواريث (ج ٢ ص ٢٢٩) وعزاه إلى مسلم وابن ماجه فى الزهد والترمذى فى صفة جهنم.

• وأخرجه أحمد فى مسنده (ج ٤ ص ١٧٤) عن خالد- نحوه بزيادة زادهما الحاكم. وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ج ١ ص ١٧١ بمعناه. وأخرجه ابن سعد (ج ٧ ص ٦) عن مصعب بن محمد بن شرحبيل بطوله مع زيادة الحاكم وزاد فى أوله: وكان عتبة خطب الناس وهى أول خطبة خطبها بالبصرة: فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد أيها الناس فإن الدنيا- فذكر نحوه.

خطب حذيفة بن اليمان ﷺ

• أخرج أبو نعيم فى الحلية ج ١ ص ٢٨١ عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: انطلقت إلى الجمعة مع أبى بالمدائن وبيننا وبينها فرسخ وحذيفة بن اليمان ﷺ على المدائن، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١)، ألا! وإن القمر قد انشق، ألا! وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا! وإن اليوم المضمار وغدا السباق، قلت لأبى: ما يعنى بالسباق؟ فقال: من سبق إلى الجنة.

• وأخرجه ابن جرير عن أبى عبد الرحمن السلمى- بنحوه وزاد فى أوله: ألا! إن الله يقول: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ألا! وإن الساعة قد اقتربت. وفى آخره: فقلت لأبى: أيستبق الناس غدا؟ فقال: يا بنى! إنك لجاهل، إنما هو السباق بالأعمال، ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرنا فخطب حذيفة فقال: ألا! إن الله عز وجل يقول: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، ألا! وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا! وإن اليوم المضمار وغدا السباق، ألا! وإن الغاية النار والسابق من سبق إلى الجنة؛ كما فى التفسير لابن كثير (ج ٤ ص ٢٦١).

(١) سورة القمر الآية ١.

• وأخرجه الحاكم في المستدرک (ج ٤ ص ٦٠٩) عن أبي عبد الرحمن - نحوه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

• وعند أبي نعيم أيضاً في الحلية عن كردوس قال: خطب حذيفة بالمدائن فقال: أيها الناس! تعاهدوا ضرائب^(١) غلمانكم، فإن كانت من حلال فكلوها، وإن كانت من غير ذلك فارفضوها^(٢)، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه ليس لحم ينبت من سحت فيدخل الجنة.

وعند عبد الرزاق عن أبي داود الأحمدى كما في الكنز (ج ٢ ص ٢١٨) قال: خطبنا حذيفة بالمدائن فقال: أيها الناس! تفقدوا أرقاعكم واعلموا من أين يأتونكم بضرائبهم، فإن لحماً نبت من سحت لن يدخل الجنة أبداً، واعلموا أن بائع الخمر ومبتاعه ومقتنيه كآكله.

خطبة أبي موسى الأشعري ﷺ

• أخرج ابن سعد (ج ٤ ص ١١٠) عن قسامة بن زهير أن أبا موسى ﷺ خطب الناس بالبصرة فقال: أيها الناس! ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يكون الدموع حتى تنقطع ثم يكون الدماء حتى لو أجرى فيها السفن لسارت. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٢٦١) عن قسامة نحوه وأحمد في مسنده عنه نحوه.

خطبة ابن عباس - رضی الله تعالی عنهما -

• أخرج أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٣٢٤) عن شقيق قال: خطبنا ابن عباس - رضی الله عنهما - وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت.

(٢) أي فاتركوها.

(١) جمع ضريبة وهي ما يؤدي العبد إلى سيده من الخراج المقرر عليه.

خطبة أبي هريرة ؓ

• أخرج أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٣٨٣) عن أبي يزيد المدني قال: قام أبو هريرة ؓ على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة دون مقام رسول الله ﷺ بعتبة فقال: الحمد لله الذي أهدى أبا هريرة للإسلام، الحمد لله الذي علم أبا هريرة القرآن، الحمد لله الذي منّ على أبي هريرة بمحمد ﷺ، الحمد لله الذي أطعمني الخمير وألبسني الحرير، الحمد لله الذي زوجني بنت غزوان بعد ما كنت أجيرا لها بطعام بطني، فأرحلنتني فأرحلتها كما أرحلنتني، ثم قال: ويل للعرب من شر قد اقترب، ويل لهم من إمارة الصبيان يحكمون فيهم بالهوى ويقتلون بالغضب، أبشروا يا بني فروخ! والذي نفسي بيده! لو أن الدين معلق بالثريا لناله منكم أقوام.

• وأخرج الحاكم (ج ٤ ص ٤٣٣) عن أبي حبيبة أنه دخل الدار وعثمان ؓ محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له، فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستلقون بعدى فتنة واختلافا- أو قال: اختلافا وفتنة- فقال له قائل: يا رسول الله! بما تأمرنا؟ قال: عليكم بالأمير وأصحابه- وهو يشير بذلك إلى عثمان ؓ. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

خطبة عبد الله بن سلام ؓ

• أخرج الطبراني عن عبد الملك بن عمير أن محمد بن يوسف بن عبد الله ابن سلام ؓ استأذن على الحجاج بن يوسف فأذن له فدخل وسلم وأمر رجلين مما يلي السرير أن يوسعا له فأوسعا له فجلس فقال له الحجاج: لله أبوك! أتعلم حديثا حدثه أبوك عبد الملك بن مروان عن جدك عبد الله بن سلام؟ قال: فأى حديث رحمك الله فرب حديث، قال: حديث المصريين حين حصروا عثمان، قال: قد علمت ذلك الحديث، أقبل عبد الله بن سلام وعثمان محصور فانطلق فدخل عليه فوسعوا له حتى دخل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فقال: وعليك السلام، ما جاء بك يا عبد الله بن سلام؟ قال: جئت لأثبت حتى أستشهد

أو يفتح الله لك، ولا أرى هؤلاء القوم إلا قاتلوك، فإن يقتلوك فذاك خير لك وشر لهم، فقال عثمان: أسألك بالذي لى عليك من الحق لما خرجت إليهم خير يسوقه الله بك وشر يدفعه بك الله، فسمع وأطاع فخرج عليهم، فلما رأوه اجتمعوا وظنوا أنه قد جاءهم ببعض ما يسرون به، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً يبشر بالجنة من أطاعه وينذر بالنار من عصاه، وأظهر من اتبعه على الدين كله ولو كره المشركون، ثم اختار له المساكن فاختر له المدينة فجعلها دار الهجرة وجعلها دار الإيمان، فوالله! مازالت الملائكة حافين بالمدينة منذ قدمها رسول الله ﷺ إلى اليوم، وما زال سيف الله مغموداً عنكم منذ قدمها رسول الله ﷺ إلى اليوم، ثم قال: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، فمن اهتدى فإنما يهتدى بهدى الله، ومن ضل فإنما يضل بعد البيان والحجة، وإنه لم يقتل نبي فيما مضى إلا قتل به سبعون ألف مقاتل كلهم يقتل به، ولا قتل خليفة قط إلا قتل به خمسة وثلاثون ألف مقاتل كلهم يقتل به، فلا تعجلوا على هذا الشيخ بقتل، فوالله! لا يقتله رجل منكم إلا لقي الله يوم القيامة ويده مقطوعة مشلولة، واعلموا أنه ليس لولد على والد حق إلا ولهذا الشيخ عليكم مثله، قال: فقاموا فقالوا: كذبت اليهود كذبت اليهود، فقال: كذبتهم، والله! وأنتم آمنون، ما أنا بيهودي وإنى لأحد المسلمين، يعلم الله بذلك ورسوله والمؤمنون، وقد أنزل الله في القرآن ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (١) وقد أنزل الآية الأخرى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَمَهَّدَ سَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فِتْنًا وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (٢) - فنذكر الحديث في شهادة عثمان. قال الهيثمي (ج ٩ ص ٩٣): رجاله ثقات.

* * *

(٢) سورة الأحقاف الآية ١٠.

(١) سورة الرعد الآية ٤٣.

خطبة الحسين بن علي - رضی الله تعالی عنهما -

• أخرج الطبرانی عن محمد بن الحسن قال: لما نزل عمر بن سعد بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال:

" قد نزل ما ترون من الأمر وإن الدنيا تغيرت وتكثرت، وأدبر معروفها وانشمر^(١) حتى لم يبق منها إلا صبابة الإناء إلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل^(٢)، ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإنني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً. قال الهيثمي (ج ٩ ص ١٩٣): محمد بن الحسن هذا هو ابن زبالة متروك ولم يدرك القصة - انتهى. قلت وذكر ابن جرير في تاريخه (ج ٤ ص ٣٠٥) هذه الخطبة عن عقبة بن أبي العيزار، قال: قام حسين - عليه السلام - بذى حسم^(٣) فحمد الله وأثنى عليه - فذكر نحوه. وذكر أيضاً عن عقبة بن أبي العيزار أن الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة^(٤) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا! وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفىء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيري، وقد أتتني كتبكم وقدمت على رسلكم ببعثكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ! نفسى مع أنفسكم وأهلى مع أهليكم، فلکم فى أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتكم بيعتى من أعناقكم فلعمري! ما هى لكم بنكر لقد فعلتموها بأبى وأخى وابن عمى، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغنى الله عنك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

(٢) أى الوخيم.

(٤) ناقصاً.

(١) أى مضى.

(٣) موضع.

خطبة يزيد بن شجرة

• أخرج الطبراني عن مجاهد عن يزيد بن شجرة رضي الله عنه وكان يزيد بن شجرة ممن يصدق قوله فعله، قال: خطبنا فقال: يا أيها الناس! اذكروا نعمة الله عليكم، ما أحسن نعمة الله عليكم، نرى من بين أحمر وأخضر وأصفر! وفي الرجال ما فيها، وكان يقول: إذا صف الناس للصلاة وصفوا للقتال فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة وأبواب النار وزين الحور العين واطلعن، فإذا أقبل الرجل قلن: اللهم انصره، وإذا أدبر احتجبن منه وقلن: اللهم اغفر له، فأنهكوا وجوه القوم فدى لكم أبي وأمي! ولا تخزوا الحور العين، فإن أول قطرة تتضح تكفر عنه كل شيء عمله، وتنزل إليه زوجتان من الحور تمسحان وجهه وتقولان: قد أنى لكم، ويقول: قد أنى لك، ثم يكسى مائة حلة ليس من نسج بنى آدم ولكن من نبت الجنة لو وضعن بين أصبعين لوسعته، وكان يقول: نبئت أن السيوف مفاتيح الجنة. قال الهيثمي (ج ٥ ص ٢٩٤): رواه الطبراني من طريقين رجال أحدهما رجال الصحيح - انتهى.

• وأخرجه الحاكم (ج ٣ ص ٤٩٤) عن مجاهد عن يزيد بن شجرة الرهاوي وكان من أمراء الشام وكان معاوية يستعمله على الجيوش فخطبنا ذات يوم فقال: أيها الناس! اذكروا نعمة الله عليكم، لو ترون ما أرى من أسود وأحمر وأخضر وأبيض! وفي الرجال ما فيها، إنها إذا أقيمت الصلاة فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة وأبواب النار وزين الحور ويطلعن، فإذا أقبل أحدهم بوجهه إلى القتال قلن: اللهم ثبته! اللهم انصره! وإذا ولى احتجبن منه وقلن: اللهم اغفر له! اللهم ارحمه! فأنهكوا وجوه القوم فداكم أبي وأمي! فإن أحدكم إذا أقبل كانت أول نقحة من دمه تحط عنه خطاياهم كما تحط ورق الشجرة، وتنزل إليه ثنتان من الحور العين فتمسحان الغبار عن وجهه، فيقول لهما: أنا لكما، وتقولان: لا، بل إنا لك، ويكسى مائة حلة لو حلفت بين أصبعي هاتين - يعنى السبابة والوسطى لوسعته، ليس من نسج بنى آدم ولكن من ثياب الجنة، إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيمانكم وحلائم ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان! هذا نورك، ويا فلان! لا نور لك، وإن لجهم ساحل

كساحل البحر فيه هوام وحيات كالنخل وعقارب كالبيغال، فإذا استغاث أهل جهنم أن يخفف عنهم قيل: اخرجوا إلى الساحل فيخرجون فيأخذ الهوام بشفاههم ووجوههم وما شاء الله فيكشفهم فيستغيثون فرارا منها إلى النار، ويسلط عليهم الجرب فيحك واحدهم جلده حتى يبدو العظم، فيقول أحدهم: يا فلان! هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقول: ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين. وأخرجه أيضاً ابن المبارك في الزهد وابن منده والبيهقي من طريق مجاهد موقوفا مطولا؛ كما في الإصابة (ج ٣ ص ٦٥٨).

خطبة عمير بن سعد ؓ

• أخرج ابن سعد (ج ٤ ص ٣٧٥) عن سعيد بن سويد عن عمير بن سعد ؓ أنه كان يقول - وهو أمير - على المنبر على حمص^(١) وهو من أصحاب النبي ﷺ: ألا! إن الإسلام حائط منيع وباب وثيق، فحائط الإسلام العدل وبابه الحق، فإذا نقض الحائط وحطم الباب استفتح الإسلام، فلا يزال الإسلام منيعا ما اشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل.

خطبة سعد بن عبيد القارى والد عمير - رضى الله عنهما -

• أخرج ابن سعد (ج ٣ ص ٤٥٨) عن سعد بن عبيد أنه خطبهم فقال: إنا لاقو العدو غدا، فلا تغسلوا عنا دما ولا نكفن إلا فى ثوب كان علينا.

خطبة معاذ بن جبل ؓ

• أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سلمة بن سبرة قال: خطبنا معاذ ؓ بالشام فقال: أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة، والله! إنى لأرجو أن يدخل الله

تعالى من تسبون من فارس والروم الجنة، وذلك بأن أحدكم إذا عمل له - يعنى أحدهم - عملاً قال: أحسنت. رحمك الله! أحسنت، ببارك الله فيك! ثم قرأ ﴿وَسَجِّبِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَبِزَيْدُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١)؛ كذا فى التفسير لابن كثير (ج ٤ ص ١١٥).

خطبة أبي الدرداء

• أخرج ابن عساكر عن حوشب الفزارى أنه سمع أبا الدرداء عليه السلام على المنبر يخطب ويقول: إني لخائف يوم يناديني ربى عز وجل فيقول: يا عويمر! فأقول: لبيك، فيقول: كيف عملت فيما علمت، فتأتى كل آية فى كتاب الله زاجرة وأمره فتسألنى فريضتها فتشهد على الأمرة أنى لم أفعل وتشهد على الزاجرة أنى لم أنته أفأترك؛ كذا فى الكنز (ج ٧ ص ٧٨).

(١) سورة الشورى الآية ٢٦.

خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح أفريقية

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح أفريقية فأخبره مشافهة وقص عليه كيف كانت الواقعة فأعجب عثمان ما سمع منه، فقال له: يا بني، أنقوم بمثل هذا الكلام في الناس؟

فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أهيب لك منى لهم.

فقام عثمان في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن الله قد فتح عليكم أفريقية وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله.

وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر، فقام خطيباً، وكان أول من خطب إلى جانب المنبر، فقال: الحمد لله الذي ألف بين قلوبنا، وجعلنا متحابين بعد البغضه الذي لا تجدد نعماءه، ولا يزول ملكه له الحمد كما حمد نفسه، وكما هو أهله، انتخب محمداً ﷺ، فاختره بعلمه، وانتمنه على وحيه واختار له من الناس أعواناً، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبه، فأمنوا به وعززوه ووقروه وجاهدوا في الله حق جهاده فاستشهد الله منهم من استشهد، على المنهاج الواضح والبيع الرابح وبقي منهم من بقى، لا تأخذهم في الله لومة لائم.

أيها الناس: رحمكم الله، أنا خرجنا للوجه الذي علمتم فكنا مع وال حافظ حفظ وصية أمير المؤمنين كان يسير بنا الأبردين^(١) ويخض^(٢) بنا في الظهائر ويتخذ الليل جملاً، يعجل الرحلة من المنزل الجذب، ويطيل اللبث في المنزل الخصب فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا^(٣)، حتى انتهينا إلى أفريقية فنزلنا منها بحيث يسمعون سهيل الخيل، ورغاء الإبل، وقعقة السلاح، فأقمنا أياماً نجم كراعنا^(٤)، ونصلح سلاحنا.

(٢) خفض بالمكان: أقام.

(١) الإبردان: العداة والعشى.

(٣) من ربنا: أي مما قد عودنا الله.

(٤) الكراع: جماعة الخيل، احم للفرس: ترك ركوبه فعفا من تعبته وذهب إعياؤه.

ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه، فأبعدوا منه، فسألناهم الجزية عن صغار، أو الصلح، فكانت هذه أبعد، فأقمنا عليهم ثلاث عشرة ليلة نتأناهم^(١) وتختلف رسلنا إليهم.

فلما ينس منهم، قام خطيباً فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب.

ثم نهضنا إلى عدونا وقاتلناهم أشد القتال يومنا ذلك، وصبر فيه الفريقان فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة واستشهد الله فيهم رجال من المسلمين، فبتنا وبناتوا وللمسلمين دوى بالقرآن كدوى النحل، وبنات المشركون في خمورهم وملاعبهم.

فلما أصبحنا أخذنا مصافنا الذي كنا عليه بالأمس فزحف بعضنا على بعض فأفرغ الله علينا صبره، وأنزل علينا نصره، ففتحناها من آخر النهار، فأصبنا غنائم كثيرة وفيئاً واسعاً، بلغ فيه الخمس خمسمائة ألف، فصفق^(٢) عليها مروان ابن الحكم فتركت المسلمين قد قرت أعينهم وأغناهم النفل، وأنا رسولهم إلى أمير المؤمنين أبشره وإياكم بما فتح الله من البلاد، وأذل من الشرك.

فاحمدوا الله عباد الله على آياته، وما أحل بأعدائه، من بأسه الذي لا يردده عن القوم المجرمين. ثم سكت.

فنهض إليه أبوه الزبير فقبله بين عينيه وقال: نرية بعضها من بعض والله سميع عليهم. "يابنى: ما زلت تنطق بلسان أبي بكر حتى صمت"^(٣).

(٢) صفق عليها الباب: أى حفظها فى خزائنه.

(١) نتأناهم: ننتظرهم.

(٣) أدب المناير، من المجموعات الأدبية "المقصد الفريد" تحقيق كرم البستاني، صادر ببيروت.

خطبة سعد بن أبي وقاص

• أخرج ابن جرير الطبري (ج ٣ ص ٤٤) من طريق سيف عن محمد وطلحة وزياد - رضى الله عنهم - باسنادهم قالوا: خطب سعد - أى يوم القادسية - فحمد الله وأثنى عليه! وقال: إن الله هو الحق لا شريك له فى الملك وليس لقوله خلف.

قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١) أن هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج، فأنتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتجنونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم، وقد جاءكم منهم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم، فإن تزهدوا فى الدنيا وترغبوا فى الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ولا يقرب ذلك أحدا إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ربحكم وتوبقوا آخرتكم. وقام عاصم بن عمرو رضي الله عنه فقال: إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم، وأنتم الأعلون والله معكم إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطنن، فلکم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم، وإن خرتم^(٢) وفشلتم^(٣) والله لكم من ذلك جار وحافظ لم يبق هذا الجمع منكم باقية مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك، الله الله! اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها، أولا ترون أن الأرض وراءكم بسابس^(٤) قفار^(٥) ليس فيها خمر^(٦) ولا وزر^(٧) يعقل إليه ولا يمتع به؟ اجعلوا همكم الآخرة - انتهى.

* * *

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

(٢) ضعفتم وفترتم.

(٣) جبنتم.

(٤) جمع بسبس، أى البر المقفر الواسع.

(٥) جمع قفر، أى الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلاً.

(٦) ملجأ.

(٧) ما وراك من شجر أو غيره.

خطبة الحسن البصرى

خطب الحسن البصرى يوماً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أيها الناس إن هذا القرآن شفاء للمؤمنين وإمام للمتقين فمن اهتدى به هدى، ومن صرف عنه شقى وابتلى، إن من شر الناس أقواماً قرأوا هذا القرآن لا يعملون بسنته ولا يتبعون لطريقته أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. لقد كان من تقدم يقرأ القرآن ويقوم بالسورة منه طول ليلته فإذا أصبح عرف ذلك فى وجهه. وأن أحدكم يقرأ اليوم القرآن لا يتجاوز لهواته وأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ لِتُدَّبَّرَ حُرُوفُهُ﴾ (١). أما والله ما هو حفظ حروفه وإضاعة حدوده، وأن أحدكم ليقول: قرأت القرآن كله ما أسقطت فيه حرفاً، كذب لعمر الله لقد أسقط كله والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء؟ متى كان القراءة تقول مثل هذا، إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ لَوْلَا تَقِيلاً﴾ (٢)، يريد جل ثناؤه العمل به، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعْ لَهُ فَجَازٍ سَمْعًا﴾ (٣). أى حل حلاله وحرم حرامه.. إلخ (٤).

* * *

(١) سورة ص الآية ٢٩.

(٢) سورة المزمل الآية ٥.

(٣) سورة القيامة الآية ١٨.

(٤) الحسن البصرى من عمالقة الفكر والزهد والدعوة فى الإسلام (رسالة نكتوراه) للدكتور مصلح سيد بيومى - كلية أصول الدين - جامعة الأزهر.

المراجع

- رياض الصالحين
مفتاح الخطابة والوعظ
مرآة المرشدين
الخطابة في الإسلام
مذكرة " الخطابة"
تلخيص الخطابة لابن رشد
فن الخطابة
تفسير ابن كثير في الخطابة وتطوره
في ضوء الإسلام - محاضرات -
الخطابة
صبح الأعشى في صناعة الأنشا
الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني
تاريخ الأدب العربي
الخطابة في صدر الإسلام
سبيل الحكمة في الوعظ والخطابة
حياة الصحابة
- للنووي
للعدوي
للشيخ علي رفاعي
د. جمعة الخولي، د. مصلح بيومي
للشيخ علي محفوظ
تحقيق د. عبد الرحمن بدوي
د. أحمد الحوفي
د. مصلح سيد بيومي
د. نقولا فياض
للقاشغري
للأستاذ. أحمد حسن الزيات
د. محمد طاهر درويش
للشيخ علي محفوظ
محمد يوسف الكاندهلوني

الصفحة	الموضوع	المقدمة
٥
	الباب الأول	
	الخطابة	
٩	التعريف بالخطابة
١١	أصول الخطابة ومقوماتها
١٧	موضوع الخطبة الدينية
١٨	مصادر الخطبة الدينية
٢٢	إعداد الخطبة
٢٣	تأليف خطب الجمعة
٢٦	نماذج من تأليف الخطب
٢٧	أثر الجهاد في الإسلام
٢٧	التحليل العلمي
٢٨	الصوغ الخطابي للموضوع
٣١	صفات الخطيب أو الداعية الناجح
٣٥	تطور الخطابة
٣٧	الخطابة في الإسلام
٣٩	عوامل تطور الخطابة في الإسلام
٤٤	أهم خصائص الخطابة في الإسلام
	الباب الثاني	
	أشهر خطب الرسول صلى الله عليه وسلم	
٤٩	أول خطبة محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
٥٠	خطبته ﷺ في الجمعة
٥١	خطبته ﷺ في الغزوات
٥٣	خطبته ﷺ لشهر رمضان
٥٤	خطبته ﷺ في تأكيد صلاة الجمعة
٥٥	خطبته ﷺ في الحج
٦٠	خطبته ﷺ في الدجال ومسيلمة ويأجوج ومأجوج والخسف
٦٤	خطبته ﷺ في نم الغيبة
٦٥	خطبته ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٦٥	خطبته ﷺ في التحذير عن سيئى الأخلاق
٦٥	خطبته ﷺ في التحذير عن الكبائر
٦٦	خطبته ﷺ في الشكر
٦٧	خطبته ﷺ في خير العيش
٦٧	خطبته ﷺ في الرغبة عن الدنيا
٦٨	خطبته ﷺ في الحشر

الصفحة	الموضوع
٦٩	خطبته ﷺ في القدر
٦٩	خطبته ﷺ في نفع رحمه
٧٠	خطبته ﷺ في الولاية والعمال
٧١	خطبته ﷺ في الأنصار
٧١	الخطب المتفرقة عن النبي ﷺ
٧٣	الجوامع من خطبه ﷺ
٧٦	آخر خطبه ﷺ
٧٨	خطبة النبي ﷺ من الفجر إلى المغرب
٧٨	كيفية النبي ﷺ وقت الخطبة

الباب الثالث

خطب الخلفاء الراشدين - رضی الله عنهم -

٨١	خطب أمير المؤمنين أبي بكر الصديق - رضی الله عنه -
٨٩	خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضی الله عنه -
١٠٣	خطب أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضی الله عنه -
١٠٧	خطب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب - رضی الله عنه -

الباب الرابع

خطب للمصابة والتابعين وتابعي التابعين

١٢٧	خطب أمير المؤمنين الحسن بن علي - رضی الله تعالى عنهما -
١٣٠	خطبة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - رضی الله عنهما -
١٣١	خطب أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير - رضی الله عنهما -
١٣٤	خطب عبد الله بن مسعود - رضی الله عنه -
١٣٥	خطب عتبة بن غزوان - رضی الله عنه -
١٣٦	خطب حذيفة بن اليمان - رضی الله عنه -
١٣٧	خطبة أبي موسى الأشعري - رضی الله عنه -
١٣٧	خطبة ابن عباس - رضی الله عنهما -
١٣٨	خطبة أبي هريرة - رضی الله عنه -
١٣٩	خطبة عبد الله بن سلام - رضی الله عنه -
١٤٠	خطبة الحسين بن علي - رضی الله عنهما -
١٤١	خطبة يزيد بن شجرة - رضی الله عنه -
١٤٢	خطبة عمير بن سعد - رضی الله عنه -
١٤٢	خطبة سعد بن عبيد القاري والد عمير - رضی الله عنهما -
١٤٢	خطبة معاذ بن جبل - رضی الله عنه -
١٤٣	خطبة أبي الدرداء - رضی الله عنه -
١٤٤	خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح أفريقية
١٤٦	خطبة سعد بن أبي وقاص - رضی الله عنه -
١٤٧	خطبة الحسن البصري
١٤٨	المراجع
١٤٩	الفهرس